محمود فوزى



دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن كلمة مستحيل تكررت كثيراً في حياة ومواقف وعلاقات وتجارب ومعارك الكاتب الكبير مصطفى امين.. ان كلمة مستحيل كانت بمثابة فواصل في كتاب حياته.. نهاية لكل مشهد في عمره.. ستار لكل فصل سياسي عايشه وكان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقعاً.. وان يشد الواقع ليصبح ممكناً.. وقد كان!
انه مصطفى امين.. ذلك المستحيل!»

محمود فوزي

مقدمة

مصطفى امين. ذلك المستحيل..

قد يبدو عنواناً غريباً لكنه مع غرابته حقيقة واقعة.. فالكاتب الكبير مصطفى امين هو الاستحالة بعينها في كل مواقفه وتجاربه ومعاركه.. فافكاره ضد الرصاص ومواقفه من الصعب ان تتكرر ومعاركه سقط تحت سنابك خيلها: الظلم والعسف والجبروت.

فمن المستحيل ان يلتقي كاتب بزعماء ورؤساء مصر في القرن العشرين اجمعين من الزعيم سعد زغلول إلى مصطفى النحاس إلى الملك فاروق إلى محمد نجيب إلى جمال عبد الناصر والسادات ومبارك.

مستحيل ان يقترب ويحترك ويصطدم وجهاً لوجه ويتمرد عليهم جميعاً.

مستحيل ان يشيد انسان صرحاً عظيماً مثل «اخبار اليوم» في بلاط صاحبة الجلالة بكل هذا الاصرار والمثابرة والصبر وكل هذا الحب الكبير.. مستحيل ان يتعرض انسان للسجن تسع سنوات ويتحمل كل هذا التعذيب الجسدي الرهيب ولا تعرف نفسه اليأس ولا يفطم نفسه عن الامل.

مستحيل ان يوجه إلى انسان كل هذه الاتهامات والانتقادات في كتاب مثلما فعل محمد حسنين هيكل في كتابه «بين الصحافة والسياسة» ولا يرد مصطفى امين ولو بكلمة واحدة!

مستحيل ان يطلق على انسان «دون جوان الصحافة» مثلما حدث لمصطفى

امين. فلا احد ينافسه في كل الشائعات التي اطلقت عليه بانه تزوج او كان على علاقة بكل الفنانات المصريات! شادية وليلى فوزي ومديحة يسري وتحية كاريوكا وفاتن حمامة.. وحتى الامبراطورة فوزية!

مستحيل ان يعرف الانسان الحب في الزنزانة.. علاقة من الصعب ان تتواجد من وراء القضبان مثلما حدث لمصطفى امين.. ويتزوج هذه الإنسانة!

ان كلمة مستحيل تكررت كثيراً في حياة ومواقف وعلاقات وتجارب ومعارك الكاتب الكبير مصطفى أمين.. ان كلمة مستحيل كانت بمثابة فواصل في كتاب حياته.. نهاية لكل مشهد في عمره.. ستار لكل فصل سياسي عايشه. وكان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقعاً.. وان يشد الواقع ليصبح ممكناً.. وقد كان!

انه مصطفى امين.. ذلك المستحيل!

محمود فوزي

٧ فبراير ١٩٨٨

كتب مصطفى أمين «صباح الخير ايتها الديمقراطية»
فمنعه السادات من الكتابة ! .

فوجيء القراء في صباح يوم ١٥ اغسطس ١٩٧٨ باختفاء عمود «فكرة» لمصطفى أمين من جريدة الأخبار دون أي اعتذار وانهالت آلاف التليفونات على مؤسسة أخبار اليوم تسأل:

— اين «فكرة»؟!

— لماذا اختفت.. لماذا لم تنشر؟!

— هل مصطفى أمين مريض؟!

— أين ذهب؟!

وكانت اجابات عمال السويتش باخبار اليوم في عبارة واحدة:

لا نعرف.. لا نعرف!

وبعدها انهالت عليهم السباب والشتائم رداً على هذا الاعتذار السخيف فإذا كانت اخبار اليوم لا تعرف.. فمن يعرف اذن؟!

والذي ضايق الناس انهم لم يقرأوا سبباً ولا اعتذاراً.. اين اختفى الكاتب الذي يقرأون له كل صباح؟ اين ذهب؟ هل منع من الكتابة؟

واذا كان القارئ قد بدأ يسأل لماذا ولا أحد يجيب فإن ذكاءه هذه المرة قد وضع الإجابة الحاسمة..

ان آخر «فكرة» كتبها مصطفى أمين قبل اختفائه كانت عن هرولة اعضاء مجلس الشعب إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات وختم فكرته قائلاً «صباح الخير.. ايتها الديمقراطية»!

ان اختفاء «فكرة» كان التعليق السياسي الوحيد في الجريدة ! أو كما قال أحد القراء» كان المانشيت» !

لم تكن «الأخبار» في حاجة لأن تقول كثيراً ليعرف الشعب.. لقد قرأ الشعب ما بين السطور.. وبعد ان كان يقرأ الكلمات والسطور اصبح يقرأ «الفراغ».. يجد فيه حلاً للألغاز التي وضعت ورداً على الاسئلة التي يعجز عن الاجابة عليها !

فقد اصدر انور السادات قراره بان يمنع مصطفى أمين من كتابة «فكرة» التي جاء فيها :

«كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم يهرولوا إلى الإنضمام إلى حزب الرئيس السادات الجديد. كنت أتمنى لو أنهم انتظروا حتى أعلن السادات برنامج الحزب وبحثوه ودرسوه ثم اقتنعوا به وبعد ذلك قرروا الإنضمام.. كنت اتمنى لو أنهم انتظروا حتى يتألف الحزب فعلاً !

كنت أتمنى لو ان اعضاء مجلس الشعب ذهبوا أولا إلى دوائرهم الإنتخابية وتحدثوا إلى الناخبين الذين انتخبوهم عن رغبتهم في تغيير لونهم الحزبي الذي حملوه في المعركة الانتخابية.. وبعد ان يحصلوا على تأييد ناخبيهم يعلنون انضمامهم إلى الحزب الجديد.

وكانت التقاليد البرلمانية الحقيقية تقضي بأنه إذا استقال نائب من الحزب الذي انتخب على اساسه فلا بد ان يستقيل من مجلس الشعب ويتقدم من جديد إلى دائرته الإنتخابية في إنتخابات فرعية فأما ان تنتخبه الدائرة فيبقى عضوا في المجلس أو تهزمه الدائرة وتنتخب النائب الذي تريده.

وعذر هؤلاء النواب الذين هرولوا انهم لم ينتخبوا على مبادىء حزب معين بل انتخبوا بصفتهم الشخصية وبعضهم غير رداءه بعد ان نال حزب مصر الاغلبية فأصبح حكومياً بعد ان انتخب معارضاً أو أصبح موالياً بعد ان نال ما نال من الأصوات باعتباره مستقلاً.

ونحن نخطو خطواتنا الأولى في طريق الديمقراطية يجب أن نحاول ان نضع

تقاليد جديدة ويحسن عندما نعدل الدستور ان ننص فيه على ان النائب الذي يترك حزباً يجب ان يستقيل ويتقدم إلى انتخابات فرعية جديدة.

عندما أعلن الرئيس السادات أنه سيؤلف حزباً، فزع بعض الناس وتصوروا ان رياسة رئيس الجمهورية للحزب الوطني الديمقراطي سوف تجعل الحزب ذاتاً مصونة لا تمس فلا ينتقد ولا يهاجم ولا يعارض.. وكان من رأيي ان هذه المخاوف لا أساس لها وان الشعب المصري ليس شعباً جباناً كما يتوهم هؤلاء الخائفون وانه مادمنا قد حطمنا السلاسل والاغلال التي تقيد هذا الشعب فإنه قادر ان يبدي رايه بغير خوف ولا تردد واننا دائماً سنجد الرجال الشجعان الذين يقولون رأيهم بغير ان ترتجف الكلمات في شفاههم.

وقد تحقق صدق نظري فإن إبراهيم شكري وزير استصلاح الأراضي ورئيس حزب العمل الاشتراكي بعث ببرقية إلى سعد محمد احمد وزير القوى العاملة ورئيس اتحاد عمال مصر قال فيها : إن النقابة العامة لعمال النقل اعلنت انها وبعض لجانها ستتبرع بمبلغ ١٨ الف جنيه للحزب الوطني الديمقراطي وان هذا التبرع يعتبر مخالفة للقوانين والعرف وهو عدم انفاق اموال النقابات على اهداف بعيدة عن اغراض النقابة.

لم يخف ابراهيم شكري ولم يرتعش ! ولم يتردد لأن رئيس الحزب هو رئيس الجمهورية وهو وزير الوزارة..

وهذه هي روح الديمقراطية التي نرحب بها.

وانهى مصطفى أمين فكرته قائلاً :

«صباح الخير.. ايتها الديمقراطية».

وما ان قرأ انور السادات هذه «الفكرة» وكان جالساً في فيلته في المعمورة على شاطىء الاسكندرية وكانت تجلس امامه جيهان السادات فرمى عليها الجريدة وقال لها.

— شوفي الهباب مصطفى أمين كاتب ايه انا المقصود بهذا المقال.

وأصدر الرئيس أنور السادات قراراً بمنع مصطفى أمين من كتابة «فكرة» والموقف السياسي وان يحذف من صحف اخبار اليوم جملة «اسسها مصطفى أمين وعلي أمين».

واتصل الرئيس بموسى صبري في المساء وقال له :

لقد قررت ان امنع مصطفى أمين من كتابة «فكرة» و «الموقف السياسي» بعد ان انذرته من قبل عشرين مرة.. انه يهاجمني في اجتماع اللجنة التنفيذية للحزب الجديد.. تصور ان مصطفى أمين يعترض على انضمام انصار مجلس الشعب إلى حزبي قبل أن يقرأوا برنامج الحزب وقبل ان يعودوا إلى دوائرهم الإنتخابية ويستشيروا ناخبيهم !

ويسأل أنور السادات مندهشاً : ولكن لماذا رحب مصطفى بتأليف حزب الوفد؟ ولماذا لم يطالب النواب الذين انضموا إلى الوفد بان ينتظروا حتى يقرأوا برنامج الوفد؟ ان مصطفى لا يعجبه الحال لأنه الان لا يؤلف الوزارات ويختار الوزراء كما كان يفعل في الماضي ولا يحمل الرسائل كما كان يحمل الرسائل بين عبد الناصر والملوك والرؤساء.. انني ابدأ عهداً جديداً ولن يستطيع احد ان يقف امامي ومن يجرؤ على الوقوف امامي سوف اطحنه !

وقال موسى صبري للسادات أنا اقترح ان يكتب مصطفى أمين الفكرة بشرط الا يكتب في السياسة وإنما يكتبها في موضوعات انسانية.

وكان رد مصطفى أمين على موسى صبري : انني اكتب ما أؤمن به. ولا أستطيع أن أكتب وأنا مقيد. ولست عياشا أقبل ان أكتب بهذه الشروط من أجل لقمة العيش ! انني أفضل ألا أكتب على الإطلاق على ان امنع من الكتابة في سياسة بلادي.

وقال له موسى صبري : ولكن لا تنسَ ان السادات هو الذي أخرجك من سجنك !

فرد عليه مصطفى أمين قائلاً : انا لا أنسى إن السادات هو الذي اخرجني من

سجني وهو الذي اعاد اسمي على صحف اخبار اليوم وهو الذي فتح لي النافذة التي أطل منها على الدنيا ولقد اختلفنا من اليوم الأول. واحمد الله انه احتملني أربع سنوات ونصف سنة! الفرق بينه وبين عبد الناصر انه عندما يغضب عبد الناصر يلفق قضية ويودع المغضوب عليه في السجن.

قلمي هو الذي دخل السجن.. اما أنا فما زلت خارج السجن!

ولكن الحرية عندما تدخل السجن.. لا تبقى فيه إلى الأبد!

وهمس المقربون في اذن الرئيس السادات في ان حذف «اسسها مصطفى أمين وعلي أمين» من صحف اخبار اليوم سيكون له ضجة فهما المصريان الوحيدان اللذان اسسا صحيفة من الصحف الموجودة الآن في مصر.. ان «الاهرام» مكتوب عليها «اسسها سليم وبشارة تقلا» وهما لبنانيان و «المصور» مكتوب عليه «اسسه اميل شكري زيدان» وهما لبنانيان وروز اليوسف مكتوب عليها اسستها فاطمة اليوسف وهي لبنانية.. فإذا حذفنا اسم مصطفى أمين وعلي أمين فمعنى ذلك أننا نقول: ان اللبنانيين وحدهم هم الذين اسسوا جرائد في مصر؟

ولهذا تقرر ان يبقى اسم مصطفى وعلى مؤقتاً!

مؤقتاً إلى أن تحذف اسماء جميع مؤسسي الصحف في مصر فيحذف معهم اسم مصطفى وعلي!

ولم تكن المرة الأولى ان يحذف فيها اسم مصطفى وعلي أمين من على «الترويسة» في الصفحة الأولى من جرائد اخبار اليوم فقد حدث من قبل في عهد عبد الناصر وايامها كان مصطفى أمين مسجوناً وجاء اليه في السجن وكيل المخابرات العامة يقول له: إن الرئيس جمال عبد الناصر اصدر قراراً بحذف «اسسها مصطفى أمين وعلي أمين» من جرائد اخبار اليوم.. ما هو رأيك؟

فقال له مصطفى أمين: رأيي أن هرم الجيزة ليس مكتوباً عليها اسسه خوفو!

وحين سأل عثمان احمد عثمان الرئيس السادات عن تسرعه في ايقاف مصطفى أمين عن الكتابة قال له السادات : انا انذرت مصطفى أمين عشر مرات..

وقد سبق من قبل ان قال لموسى موسى انه انذره عشرين مرة وحين سألت مصطفى أمين قال لي بالحرف الواحد :

الواقع انه انذرني ثلاثين مرة ولكنني لم ارتدع ومضيت في طريقي لأنني مؤمن بانني اخدم وطني أولاً واخيراً.

وقد جاء مراسلو صحف العالم في القاهرة يطلبون من مصطفى أمين تصريحات ضد السادات !

وقال لهم مصطفى أمين : آسف..

أنا لا أستطيع أن أهاجم السادات فقد كنت مسجوناً واطلق سراحي واطلق معي سراح كل مسجون سياسي.. اخرجني من السجن إلى الحرية. كنت رقماً في زنزانة فأعاد اسمي كما اعاد لمصر اسمها المحذوف المشطوب بعد انتصار أكتوبر. وغير معقول ان أجيء اليوم لاهاجم هذا الرجل لانني اختلفت معه.. لقد اختلفنا على مصلحته هو لا على مصلحتي.. اختلفنا هل خير له ان يؤلف حزباً من العمالقة أم يؤلفه من الاقزام. هل يكون الحزب من قش أم من جرانيت؟ انني أؤمن ان مصر ليست في حاجة إلى الامعات الذين يمشون في المواكب وإنما في حاجة إلى المناضلين الذين يقاتلون في المعارك وليست في حاجة إلى هاتفين ومصفقين وإنما هي في حاجة إلى مفكرين ومبتكرين.. ليست في حاجة إلى ملايين يقولون «آمين» وإنما في حاجة إلى عشرات يقولون «لا» !..

وفي أول اجتماع للسادات بلجنة الاعلام بالحزب الوطني الديمقراطي بدأ السادات حديثه اليهم قائلاً :

ان مصطفى أمين يريد ان يعود بالصحافة إلى الأيام التي كان الصحفي يخبط بقدمه باب الوزير ويدخل !

تصوروا الالاف كتبوا لي خطابات يسألونني عن حكاية مصطفى أمين.

فقال له أحد الجالسين : انهم من الافنديات !

فرد السادات قائلاً : المصيبة انهم ليسوا من الافنديات.. اغلبهم شباب صغير يعترض على قرار منع مصطفى أمين من الكتابة.. هذا دليل الأمية السياسية.. انهم لا يعرفون تاريخ مصر ولا يعرفون تاريخ السياسة في مصر.. وواجبكم ان تشرحوا لهم ماذا كانت تفعل الاحزاب.. مصطفى بك؟ ثم تنهه السادات وتوقف لحظة وتأمل وجوه الحاضرين وهو يقول لهم :

هل تعلمون ان مصطفى أمين كان يحمل رتبة البكوية !

فقالوا له : حقيقة ام تهزأ يا سيادة الرئيس.

ــ هذه حقيقة يحاول ان ينكرها !.

ومن المفارقات الغريبة ان مصطفى أمين ليس هو الوحيد الذي يحمل لقب البكوية فإن اغلب كتاب وادباء مصر من جيل مصطفى أمين يحملون هذا اللقب أو من الأجيال التي سبقته.

فالذين يحملون لقب «الباشا» من الأدباء هم : د. طه حسين ود. محمد حسين هيكل وعبد القادر حمزة وفكري اباظة والشيخ علي يوسف وأحمد لطفي السيد أما الذين كانوا يحملون لقب البكوية مع مصطفى أمين فهم : احمد شوقي وتوفيق الحكيم وكامل الشناوي !

ولقد هاجم الرئيس الراحل أنور السادات الكاتب الصحفي الكبير مصطفى أمين في خطاب القاه في مدينة «تلا» والذي أعلن فيه ترشيح نفسه لعضوية الحزب الوطني الديمقراطي.. واذيع على موجات الإذاعة وشاشات التليفزيون.

وقال السادات في خطابه «ان مصطفى أمين اهان مجلس الشعب يوم ان طلب من اعضائه ان يقرأوا برنامج الحزب الجديد قبل ان ينضموا اليه» !

وقال الرئيس في نفس الخطاب :

ان مصطفى أمين كان يستمتع بتكييف الهواء والماء الساخن في اكتوبر ١٩٧٣

بينما كان الجنود والضباط يحترقون في الصحراء وينامون على الرمال! وانه من الافنديات.. افنديات القاهرة!

والطريف ان مصطفى أمين كان لا يزال مسجوناً في اكتوبر١٩٧٣ ولم يكن في زنزانته تكييف هواء ولا ماء ساخن! ولم يخرج مصطفى أمين من السجن والمعتقل إلا بعد ان انتهت حرب اكتوبر بثلاثة شهور!

واجتمعت لجنة الاعلام بالحزب الوطني الديمقراطي مع منصور حسن الأمين المساعد للاعلام في ذلك الوقت لمناقشة خطاب الرئيس في «تلا» وتقرير الاجوبة على تساؤلات المواطنين.. واثير موضوع قرار حرمان مصطفى أمين من الكتابة.. وقال بعض من الاعضاء ان الرأي العام غير مقتنع بالأسباب التي ذكرها الرئيس السادات في خطاب «تلا» وقال منصور حسن:

ذهبت إلى الرئيس السادات قبل القاء الخطاب وتحدثت معه في الأثر السيء الذي تركه قرار حرمان مصطفى أمين من الكتابة على الرأي العام واستمع الرئيس نصف ساعة كاملة لهذه الاعتراضات وبعدها مباشرة: القى خطابه. ثم استطرد منصور حسن وكأنه يعض اصبع الندم قائلاً:

— لولا ما قلته للرئيس عن سخط الرأي العام على هذا القرار لما تحدث الرئيس السادات بهذا العنف!

وقال سعد زغلول نصار سكرتير الرئيس الصحفي في ذلك الوقت مبرراً قرار السادات:

هل معقول ان يرحب مصطفى أمين بحزب الوفد ولا يرحب بحزب الرئيس!.. لقد كانت آخر محاولة للرئيس لعودة الديمقراطية ولكن للأسف انتقدها مصطفى مما اثار الرئيس فغضب واصدر قراره!

وبعد ذلك بايام اجتمع الرئيس السادات بلجنة الاعلام وبدأ صلاح جلال الاجتماع قائلاً: ان لدينا ملاحظات على حكاية منع مصطفى أمين من الكتابة!

وما كاد السادات يسمع كلمة «ملاحظات» حتى ثار وغضب ولوح بيديه

قائلاً له : لا ! انت ما تنفعنيش ! انت لازم تطلع من الحزب.. انا عايز ناس يتصدوا لا يقولوا ملاحظات !

قال الرئيس : انكم لم تقرأوا كتاب محمد التابعي عن احمد حسنين انه ذكر فيه ان مصطفى امين كان يؤلف الوزارات ويسقط الوزارات وما دام لا يستطيع الان تعيين الوزارات واسقاطها فلن يعجبه الحال ! تصوروا ان مصطفى هاجم الوفد ونشر في الصفحة الأولى كيف ان فؤاد سراج الدين باشا اشترى عمارة اثناء حريق القاهرة وحين طلبت منه ان يهاجم فؤاد سراج والوفد.. تمرد علي.. ورفض ان يهاجمهم ! ثم انهى السادات حديثه قائلاً :

ان جمال عبد الناصر طلب من مصطفى أمين وعلي أمين واحسان عبد القدوس وهيكل الاتصال بالامريكيين وبعد ذلك أراد هيكل ان ينفرد بالسلطان فانسحب ليبطش بهم عبد الناصر بتهمة الاتصال بالامريكيين وتآمر على «علي أمين» صاحب الفضل عليه مع ان هيكل اطلق اسم «علي» على ابنه الأول ! وتآمر هيكل على احسان عبد القدوس أول من فتح له الطريق للعمل بالصحافة !

وقد فوجىء مصطفى أمين في منزله مساء يوم ٢٩ اغسطس ١٩٧٨ بتليفون من السيدة جيهان السادات وقالت له : انها تريد ان تحدثه منذ اليوم الأول لقرار منعه من الكتابة لتطلب منه الا يغضب من الرئيس السادات للقرار الذي اصدره فإن اعصاب الرئيس مرهقة بسبب الاعباء الملقاه عليه للاستعداد لمؤتمر كامب ديفيد وانه كثيراً ما كان يثور عليها وقد اصابتها بعض هذه الثورة عندما أرادت ان تقنعه بان يعدل عن قراره بمنع مصطفى عن الكتابة.

فقال لها مصطفى أمين :

انني لا أنسى ان السادات هو الذي اخرجني من السجن وان له في قلبي رصيداً وقد سحب جزءاً من هذا الرصيد بتصرفه ولكن لا يزال له في قلبي رصيد كبير.

فقالت جيهان السادات : انني واثقة ان الرئيس السادات بعد ان يعود من

امريكا وتهدأ اعصابه سيعدل عن قراره.. فمن عادة الرئيس اذا غضب ان يثور على اقرب الناس اليه ومن يحبهم بالذات.

ثم قالت له جيهان السادات: وماذا يهمك؟! وقد اصبحت بطلاً!

وكررت جيهان السادات كلمة «بطلاً» لمصطفى أمين ثلاث مرات!

فقال لها مصطفى أمين:

انني لا أريد أن أكون بطلاً على حساب انور السادات والدليل على ذلك انني لم ارغب في هذه البطولة انه عندما هدد الرئيس السادات منذ شهور بان يصدر قراراً بفصلي خشيت ان يحدث هذا القرار ضجة وعرضت على الرئيس بواسطة موسى صبري أن أطلب احالتي للمعاش لأسباب صحية حتى أوفر على الرئيس هذه الضجة وحتى لا يحسب عليه أنه قصف قلم كاتب ولكن الرئيس رفض هذا الاقتراح!.

واضاف مصطفى امين قائلاً لها:

لم أطلب من السادات شيئاً من قبل بل انني اكتب ما أؤمن به وانني اتمنى له من كل قلبي ان ينجح كامب ديفيد فإن نجاحه هو نجاح للبلد كلها!

وردت جيهان السادات قائلة:

ولكنك غلطت في حق الريس..

لانك هاجمت اعضاء مجلس الشعب. صحيح انهم هرولوا.. وصحيح انه ما كان يجب ان يظهروا بهذه الصورة ولكن الرئيس لا يستطيع ان ينسى انهم رفتوا من اجله النواب مثل الحريري وكمال الدين حسين وانهم عندما ثاروا عليك لأنك فضحتهم امام الرأي العام اضطر الرئيس ان يصدر قراراً بوقفك عن الكتابة حتى يهدىء ثورتهم..

وفهمت جيهان السادات من حديث مصطفى أمين معها خطأ أنه يريد أن يخرج من مصر فقالت له: يجب ان تبقى في بلدك.

فقال لها : انني لم افكر في الهجرة من بلدي كل ما فكرت فيه ان اسافر في اجازة.

قالت جيهان : يجب أن تبقى.

فقال لها : انني لا اخاف مما اقوله. ولكن اخاف من الذي سوف ينسب إلي انني قلته عن السادات وقد امتنعت عن مقابلة الصحفيين الأجانب.

قالت : ان السادات لا يسمع كلام التقارير.. عندما جاءته ورقة «التيكر» وفيها تصريح على لسانك للسوسيتيد بريس اتصل على الفور بموسى صبري وسأله عن ذلك فأكد له موسى انه قررت عدم الاتصال بأي صحفي اجنبي.

كانت جيهان السادات تفيض ظرفاً ورقة في حديثها التليفوني مع مصطفى أمين ولكن مصطفى توقف طويلاً امام كلمة «اصبحت بطلاً» فقد احس انها تنزف سماً والماً ودماً !

وكان مصطفى امين في ذلك الوقت يجلس يومياً يكتب «فكرة» صحيح انها لا تنشر في الصحيفة ولكن يكتبها ويحتفظ بها في ارشيفه الخاص بعد ان يطلع عليها بعض من اصدقائه واجتمع في هذه الدوسية الخاص الكثير من الأفكار المشطوبة.. كان يأمل وقتها ان تنشر يوماً ما.. وقد حدث.. فالأصرار وعدم اليأس هما اللذان يسير عليهما قطار تمرده السريع !

وكان رأي مصطفى أمين أنه إذا كانت الصحافة حرة لما جرؤ احد على ان يضع قوانين للصحافة في غيبة الصحفيين فيسمي الصحافة سلطة ان يجعلها حذاء في قدم الحاكم ويقيدها وهو يدعي انه يحررها ويضع راسها في التراب وهو يتظاهر انه يكلل راسها بالتاج ! لو كانت الصحافة حرة لاستطاعت ان تدافع عن نفسها ضد الاتهامات الكاذبة التي تنهال عليها ولما هوت مكانة الصحفي المصري إلى الحضيض.. ولما قال الرئيس السادات في كل مناسبة» مصطفى امين يريد ان يعود بالصحافة إلى الأيام التي كان يضرب الصحفي بقدمه باب الوزير ويدخل عليه !

نعم كان الصحفي يفعل ذلك ليسأل الوزير باسم الشعب وليحقق مع الوزير باسم الشعب ويطالب الوزير باسم الشعب.

اما ما يحدث اليوم في رأي مصطفى امين فإن الحكام هم الذين يضربون باقدامهم الصحفيين!

وعلى حد تعبير مصطفى امين فإن «شلوت» الحاكم يخرج الكاتب من جريدته ويخلع رئيس التحرير من وظيفته ويرمي برئيس مجلس الإدارة في سلة المهملات!

واجتمع الرئيس السادات بالصحفيين وقال لهم بالحرف الواحد.

— لقد تعلمنا الديمقراطية ولا نريد دروساً من مصطفى امين في الديمقراطية؟.. ان مصطفى أمين يعارض ليصبح زعيماً.

ثم فتح السادات الجريدة واشار إلى الصفحة الأولى قائلاً:

— ما هذا؟ كل واحد يرسل تبرعه لمصطفى أمين؟

هوه مفيش في البلد غير مصطفى أمين.. هل أصبح مصطفى أمين رئيس جمهورية حتى يرسل الناس تبرعاتهم له في «الدنيا بخير»!.

ثم أصدر السادات أوامره:

— لا تنشروا في اخبار اليوم ان مصطفى امين تلقى تبرعات!

وصدر قرار بأن تكتب اخبار اليوم تحت عنوان الدنيا بخير «تلقت اخبار اليوم مبلغ كذا..» بدلاً من تلقى مصطفى أمين مبلغ كذا..!

ثم عاد الرئيس وطلب من اخبار اليوم وقف قصة «سنة أولى حب» قائلاً: ما هذه القصة التي لا تنتهي»!

كل صفحة فيها اسم مصطفى أمين!

اوقفوا القصة فوراً!

ووعدته اخبار اليوم بايقاف القصة..

ثم عاد الرئيس في الأسبوع التالي وسأل موسى: لماذا لم توقف القصة؟

وقال موسى : انه ينتظر حتى يجيء فصل يمكن الوقوف عنده !

وطلب موسى صبري من مصطفى أمين أن يختم القصة فرفض !

فعرض عليه موسى صبري أن يختمها هو !

فقال له مصطفى أمين :

أن القرار الجمهوري بقتل القصة وليس بتشويه الجثة ! .. يجب أن توقف القصة بغير أن تقولوا كذب إنها انتهت !

وهدد مصطفى أمين المسئولين في اخبار اليوم :

لئن قلتم انها انتهت سأعقد مؤتمراً صحفياً واقول ان القصة لم تنته وان رئيس الجمهورية هو الذي اوقفها !

واوقفت قصة سنة أولى حب فجأة ولم يكتب انها انتهت !

وكان قد بقي منها عشرة فصول لم تنشر !

وقامت ضجة بين القراء وانهالت الوف الرسائل على اخبار اليوم ومصطفى أمين.. تسأل لماذا أوقفت القصة ومن الذي أوقفها ؟ وكيف يصدر قرار بوقفها وانتم تقولون ان الصحافة حرة !

ومن مفارقات الايام وسخرية القدر ان الرئيس عندما اوقف « فكرة » طلب من موسى صبري نشر « سنة أولى حب » في اخبار اليوم لتخفيف صدمة القراء بوقف فكرة !

وتسأل الناس بصوت مسموع ما هو السر في وقف سنة أولى حب ؟ !

قيل لأنها تدور حول وزير داخلية زور الانتخابات وزيف القضايا ضد خصومه.. وان المقصود بهذا هو الإشارة إلى تزييف الانتخابات الحاضرة !

فقيل لهم : ان هذه قصة عن انتخابات سنة ١٩٣٠ التي جرت في عهد اسماعيل صدقي وانها لم تكتب الان.. لقد كتبت في سجن طره في الستينات ونشرت في مجلة الشبكة في لبنان وظهرت في كتاب مطبوع وعرضت في فيلم

سينمائي من ثلاث سنوات قبل اجراء الانتخابات الأخيرة وقبل حل مجلس الشعب فهل كان المؤلف يتنبأ في الستينات انه بعد ١٥ سنة مثلا ستزيف الانتخابات!

وقيل ان القصة فيها اشادة بكفاح الشعب من اجل الدفاع عن حرية الانتخابات ومن أجل المطالبة بالدستور.. وان هذا تحريض للشعب على الثورة!

وقال السامعون: ان الفصول التي تتحدث عن تزوير الانتخابات وكفاح الشعب نشرت في اخبار اليوم قبل اجراء الانتخابات بثمانية شهور.. وان الفصول التي منعت ليس فيها ذكر للانتخابات ولا تزوير الإنتخابات! ولم يكن ما قيل هو السبب الحقيقي بل كان هناك سبب خفي هو «تحجيم» مصطفى أمين بعد أن انتشر اسمه اكثر من اللازم في اخبار اليوم! والمطلوب هو تحجيمه وتحديد نشاطه وكتاباته!

واثناء زيارة الرئيس السادات لواشنطون اجتمع ببعض الصحفيين الامريكيين وقال لهم:

ان في مصر ديمقراطية مائة في المائة وان الصحافة المصرية حرة. تنقد كما تشاء وتهاجم كما تريد وان الديمقراطية في مصر اصبحت مثل الديمقراطية في الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا! وسألته احدى الصحفيات: اذا كان هذا صحيحاً فلماذا أوقف الصحفي مصطفى أمين عن الكتابة.

وفوجئ الرئيس السادات بهذا السؤال فقال: انها مسألة بسيطة! وقال احد الصحفيين الامريكيين: ان اثنين من زملائنا في الواشنطون بوست هاجما الرئيس نيكسون حتى ارغماه على الاستقالة.. ولم يستطع نيكسون ان يطرد الصحفيين من جريدتهما ولكن الصحافة هي التي طردت رئيس الجمهورية.

وادار الرئيس السادات ظهره ولم يرد على هذا الكلام!

وعند عودة الرئيس السادات من امريكا استقل وقرينته طائرة الرئاسة من امريكا إلى مصر عن طريق المغرب.... كان الرئيس واسرته يجلسون في صالون

مغلق بينما باقي الوزراء والركاب والصحفيين يجلسون في مؤخرة الطائرة وفجأة فتح باب مقصورة الرئيس وخرجت جيهان السادات واتجهت إلى الصحفيين وقالت :

عندي خبر سار .. ان الرئيس ارسل « تلكس » من الطائرة إلى الرياسة لدعوة مصطفى أمين لحضور فرح جمال السادات وجاء تلكس مصطفى أمين تسلم الدعوة فعلا . ومعنى ذلك ان الرئيس سيأمر بعودة مصطفى أمين إلى كتابة « فكرة » وقام الصحفيون وشكروا جيهان على هذا الخبر السار وقالوا لها انهم يشعرون ان لها دوراً في اقناع الرئيس بذلك !

ووصل عدد من رؤساء التحرير إلى القاهرة وذهبوا مباشرة من المطار إلى مكتب مصطفى أمين في اخبار اليوم وكان منهم الكاتب الراحل علي حمدي الجمال الذي بادر مصطفى قائلاً :

— مبروك !

فقال له مصطفى أمين : مبروك على ماذا؟

فقال علي : ألم يرسل لك الرئيس دعوة لحضور الفرح .

فقال له مصطفى أمين في عبارة حاسمة :

— نعم جاءت الدعوة .. ولن اذهب !

فرد علي الجمال قائلاً :

ان مدام جيهان قالت لنا ان معنى هذه الدعوة هي قرار بالغاء وقفك عن الكتابة .

فقال له مصطفى أمين :

إن الرئيس هاجمني في زفة ويريد ان يصالحني في عطفة !

إذا أنا ذهبت بعد الهجوم والشتائم التي قالها عني الرئيس في التليفزيون والإذاعة فمعنى ذلك ان من حق الرئيس ان يهاجمني فإذا اشار لي بأصبعه اسرعت اهرول اليه ! انا لن اذهب !

فقال علي الجمال : يمكنك ان ترسل برقية بالتهنئة وتعتذر لمرضك

فقال مصطفى أمين: أنا لا أكذب!

فقال رؤساء التحرير — ارسل له باقة ورد.

فضحك مصطفى أمين وهو يقول لهم:

ستوضع باقتي بين الباقات وسيمر عليها الناس ويقولون: شوفوا المنافق! يشتم الرئيس وبعد ذلك يرسل له باقة ورد!

فقال احمد رجب: هناك حل لا تذهب يوم الفرح إلى مكتبك في المساء:

فقال مصطفى أمين: انني سأذهب إلى مكتبي بعد الظهر في الساعة السادسة مساء كالمعتاد إلى الساعة الثامنة مساء.

قال احمد رجب: سيغضب الرئيس.

فرد عليه مصطفى امين:

انني اعتقد ان منع كاتب من الكتابة هو قرار بقطع لسان الكاتب ومن رأيي أن مقطوعي اللسان لا يحضرون الحفلات والسنتهم المقطوعة تمنعهم من تقديم التهاني. ولهذا انا ساحضر إلى مكتبي اليوم الساعة الخامسة والنصف وابقى فيه كالمعتاد إلى الساعة الثامنة والنصف ولن اذهب إلى الفرح!

وبدأ فرح جمال السادات في السابعة مساء وضم كل كبار وعظماء الدولة.. وفي اثناء الفرح التفت الرئيس السادات حوله وقال:

آمال فين مصطفى أمين؟

وبالطبع لم يقل له احد ما قاله مصطفى أمين!

ثم التف من حوله الصحفيون يطلبون منه الغاء قرار منع مصطفى امين من الكتابة وكان منهم موسى صبري واحمد رجب ومحسن محمد فقال لهم السادات:

لقد دعوت مصطفى امين للفرح لابلغه بأنني امرت بعودته للكتابة!

ثم استدعى الرئيس موسى صبري واحمد رجب وقال لهما:

خذا عربية رياسة الجمهورية واذهبا إلى بيت مصطفى امين واحضراه هو وزوجته وقولا له : انني امرت بان يكتب «فكرة».

.وكانت الساعة تقترب من التاسعة مساء حيث عاد مصطفى أمين إلى منزله وارتدى البيجاما وكان يستعد لتناول العشاء ففوجىء بحضور موسى صبري واحمد رجب وطلبا منه ان يكتب فكرة فوراً بامر الرئيس لتظهر صباح اليوم التالي في الأخبار فقال لهما مصطفى أمين:

إن الوقت متأخر وإنه يمكن الإتصال بجريدة الأخبار لتنشر بروازاً في الصفحة الأولى بأن فكرة ستعود غداً.

وامسك موسى التليفون وطلب سكرتير تحرير «الأخبار» وأملى الخبر في الوقت الذي كان فيه مصطفى امين وزوجته يرتديان ملابسهما. وذهبوا جميعاً إلى الفرح واتجهوا إلى المائدة التي يجلس عليها الرئيس السادات وحسني مبارك نائب رئيس الجمهورية وسيد مرعي رئيس مجلس الشعب وممدوح سالم رئيس الوزراء.

وقام الرئيس وصافح مصطفى أمين قائلاً له :

مبروك.

فقال له مصطفى أمين هو الاخر:

مبروك!

ثم صافحه حسني مبارك وممدوح سالم وعانقه سيد مرعي. ثم صحبوه إلى مائدة بالقرب من مائدة الرئيس. وتركت جيهان السادات مآئدة الرئيس وجلست على مائدة مصطفى أمين تبارك عودته الجديدة!

والتف الجميع من المدعويين يقدمون التهنئة للغائب الحاضر!

وكتب مصطفى أمين أول فكرة يقول فيها : رجع ما انقطع وانني اعود إلى كتابة فكرة مؤمن بنفس معتقداتي في الحرية والديمقراطية والعدالة وسيادة القانون! واعتبر الناس عودة مصطفى امين للكتابة ان الشعب كسب الحرب ضد الأستبداد. أما هو فقد اعتبر أن الشعب كسب معركة الحرية وأن خصوم

الحرية لن يقبلوا هذه الهزيمة وأن لصوص المدينة قد خسروا معركة ولم يخسروا الحرب كلها!

ولم يهنأ مصطفى امين إلا اياماً قليلة وعاش بعدها فترة من اصعب فترات حياته.. كل مقال يكتبه في الموقف السياسي يحذفون نصفه.. أو اهم فقراته!

كل كلمة عن الديمقراطية أو الحرية أو العدالة يمر عليها قلم الرقيب ويكشطها.. كل جملة عن حكم الشعب يحذفها.. كل فكرة فيها نقد يطلب الرقيب كتابة فكرة غيرها خشية ان تثير الرئيس!

وذات مرة كتب مصطفى أمين في الموقف السياسي «ان الإسلام ينص على الشورى» وحذفها الرقيب!

وقال مصطفى أمين للمسئولين عن اخبار اليوم ان هذا قرار يحذف مبدأ هاماً من مبادىء الإسلام!

وكتب موسى صبري عدة مقالات يهاجم فيها الديمقراطية وذهل الناس وهاجموا موسى فسأله مصطفى أمين:

كيف تكتب هذه المقالات التي تسيء اليك؟

فقال له موسى صبري:

— انت السبب

— كيف؟

— انني كتبتها لاوازن بين ما تكتبه عن الديمقراطية حتى اهدىء غضب الرئيس!

ويومها قال مصطفى أمين:

اصبحت الكتابة عملية شاقة مضنية!

انني اكتب ولا اعرف إذا كان ما اكتبه سينشر أو لا ينشر! وبعض ما ينشر على لساني لم اكتبه!

بل أريد به تخفيف معاني الكلمات حتى لا تغضب ولا تثير!

وبدأ مصطفى امين يهرب من «المباشرة» في الكتابة ويتسلل عبر «الرمز» ليقول ما يريده دون ان يحذف منه أو يتعرض لقلم الرقيب ولكن الرمز لم يقف على ذكاء السادات السياسي المحنك والصحفي القديم!

فقد كتب مصطفى امين مقالاً عن الزعيم احمد بن بيلا بمناسبة الافراج عنه بعد ١٤ سنة من الاعتقال وقال فيه :

«لو ان بن بيلا حكم الجزائر حكماً ديمقراطياً لما بقي في السجن كل هذه السنوات بغير تحقيق ولا محاكمة ولا حكم!

فالديمقراطية هي التي تحمي الحاكم وهي التي تمنع الانقلابات العسكرية!».

وقرأ السادات هذه المقالة وغضب غضباً شديداً..

وقد اشار في ذلك علناً في اجتماعه بالصحفيين قائلاً لهم :

مصطفى أمين خبير في كتابة المقال بغير ذكر الاسم فيفهم الناس جميعا من هو المقصود!

وفي صباح يوم الخميس ١٩ يوليو سنة ١٩٧٩ قرأ الرئيس «فكرة» في الاخبار.. مارس فيها الكاتب الكبير مصطفى أمين هوايته في الرمز الملغز فكتب يقول :

«طغى وبغى واستبد.. فرض الصمت على امة باسرها.. كل تليفون مراقب.. كل حديث مسجل.. وراء كل باب اذن تسمع.. قطع السنة المعارضين.. كم الأفواه.. داس بقدميه على حقوق الإنسان..» «وتصور سوموزا انه سيحكم دولة نيكاراجوا إلى الأبد فإذا منع الدستور هذا الغي الدستور. وإذا وقف محام يقول ان الاحرار يرفضون حياة العبيد اختفى المحامي ولم يعرف احد هل هو ميت يرثى أو مسجون يرجى الافراج عنه..

وسوموزا هو ثالث حاكم في اسرته التي استمرت تحكم ٤٣ عاماً بغير انقطاع.. ولهذا توهم الديكتاتور ان الدنيا دانت له وانه وضع قدميه فوق عنق

الشعب فلا يستطيع ان ينقض على الطاغية واستعان بحرس خاص مؤلف من القتلة والمجرمين والسفاكين وقطاع الطرق.. مهمتهم التخلص من المعارضين وتأديب المشاكسين واسكات المخالفين..

واحنى الجميع رؤوسهم خوفاً وذعراً ولكن صحفياً واحداً رفض ان يسكت ورفض ان يخاف ورفض ان يحني رأسه للطغيان وارسل الديكتاتور يهدده ويتوعده ولكن الديكتاتور يضعه مرة أخرى في السجن وخرج من السجن ليكتب وعاد الديكتاتور يضعه مرة اخرى في السجن وخرج الصحفي للمرة الثانية وعاد يعارض من جديد. عندئذٍ ارسل إليه الديكتاتور بعض ضباطه فقتلوه وتصور الديكتاتور انه اسكت آخر صوت يرتفع وإذا بهذا الحادث يؤدي إلى انفجار الشعب في نيكاراجوا.

وبدل ان يحمل المواطنون الأقلام ليهاجموا الطاغية حملوا البنادق والرشاشات واصبحت زوجة الصحفي عضواً في مجلس قيادة الثورة وكانت تحمل مدفعها الرشاش وتمشي في مقدمة الثوار.

ان الديكتاتور اسكت قلماً ولكنه انطق شعباً.. ولم تستطع كل قوات الطاغية ان تسكت الشعب الغاضب.

انه حطم قلماً واحداً.. ولكنه لم يستطع ان يحطم امة بأسرها!

وانتصر الشعب وانكسر الطاغية..

والنصر للحرية دائماً..!».

ودق جرس التليفون في استراحة الرئيس السادات في المعمورة وقال احد المقربين للرئيس:

اقرأ فكرة!

ان مصطفى امين يهاجمك!

انه كتب حكاية مخترعة لم تحدث وهو يقصدك أنت!

وامر الرئيس باحضار جريدة الاخبار فوراً وبعد ان قرأ المقالة ثار غاضباً

وملوحاً بيديه وتناثر الدخان المحترق من البايب على ملابسه.. وقال لجيهان السادات : شوفي مصطفى بيكتب ايه عليه.. انا المقصود بهذا المقال.

ومنع مصطفى من كتابة «فكرة» والموقف السياسي وان يحذف جملة «اسسها مصطفى امين وعلي امين» من على الترويسة في الصفحة الأولى!

ولم تكن المرة الأولى التي يلمح فيها مصطفى امين بالرمز لما يحدث من أجل التغيير فقد حدث من قبل بعد الثورة في عهد جمال عبد الناصر فقد كتب مصطفى امين مقالاً في اخبار اليوم بعنوان «لا ديكتاتورية».

وإن كان المقال من وجهة نظر مصطفى أمين مغرقاً في الرمزية إلا انه كان نصلاً حاداً موجهاً إلى عبد الناصر في حياته.

ولهذا لم يكن غريباً ان يفهم السادات بعد ذلك ما بين سطور مقالات مصطفى أمين وإذا كان عبد الناصر لم يعمل بالصحافة فإن السادات قد عمل منذ زمن بالصحافة فقد فكر مع زملائه المتهمين معه في قضية اغتيال أمين عثمان في اصدار مجلتين اسبوعيتين داخل سجن مصر عام ١٩٤٦ وصدرت هذه المجلة بالفعل إلى حيز الوجود عام ١٩٤٦ . الأولى باسم «الهنكرة والمنكرة» والثانية باسم «ذات التاج الأحمر» وكانتا تتضمنان الحوادث العامة والتعليق عليها ونقد المتهمين انفسهم والتعليق على ما يدور من حوادث في السجن وبالرغم من محدودية التجربة في ذلك الوقت إلا انها تعكس بوضوح الاهتمامات الأولى لأنور السادات بالصحافة.

وقد عمل انور السادات صحفياً في مجلة المصور عام ١٩٤٨ عقب الافراج عنه مباشرة والحكم ببراءته في قضية اغتيال امين عثمان وقد تولى بعد قيام الثورة بستة اشهر فقط مسئولية أول دار صحفية انشأتها الثورة وهي دار التحرير للطباعة والنشر.. وعنها صدرت أول جريدة يومية للثورة وهي جريدة الجمهورية كذلك عمل السادات مشرفاً عاماً على مؤسسة اخبار اليوم بل انه من مفارقات

الايام انه جلس في نفس الحجرة التي كان يجلس فيها مصطفى امين قبل دخوله السجن ولما افرج السادات عن مصطفى امين قال له :

اذهب واجلس في حجرتي في اخبار اليوم.

ولما ذهب مصطفى أمين إلى اخبار اليوم بعد خروجه من السجن اكتشف ان الحجرة التي يعنيها السادات والتي اتخذها مكتباً له هي نفس حجرة مصطفى أمين! مع فارق بسيط لكن له مغزى عميق هو ان السادات قد نقل مكتبه إلى اليمين فلما خرج مصطفى امين من السجن اعاد المكتب مرة اخرى إلى الشمال!

وكانت كل مواقف مصطفى أمين مع السادات في هذا الاتجاه: «الشمال» دائماً!!

ومن يدقق في خلفية مكتب مصطفى أمين يجد فجوات نحاسية كثيرة تخترق الحائط من خلفه. وكأنها طلقات الرصاص التي صوبت اليه وإلى مقالاته المتمردة لكنها لم تصبه في مقتل!

ما يسكبه على الورق ليس حبراً
بل سماً ناقعاً يلدغ به الحاكم ! .

لماذا انقلب السادات على مصطفى أمين؟ ! ولماذا تمرد مصطفى أمين على السادات رغم أنه أخرجه من السجن بعد أن ظل وراء قضبانه قرابة تسع سنوات.

لقد أمر السادات بالافراج عن مصطفى أمين في شتاء ١٩٧٤ لكن الجليد بينهما لم يذب ابداً. فقد اعتقد السادات واهماً انه بافراجه عن مصطفى أمين يستطيع بذلك ان يشتري قلمه لصالح التسبيح بحكمه ولكن قلم مصطفى أمين تمرد عليه اكثر من مرة فأوقفه عن الكتابة ثم سمح له بالعودة اليها تحت ظروف معينة كثيراً ما تدخل فيها قلم الرقيب فقد كان قلم مصطفى أمين تحت الحراسة المشددة ! .

ذات يوم اتصل عثمان احمد عثمان بمصطفى امين وقال له :

— أريد أن أزورك في بيتك.

— أهلاً وسهلاً.

وعندما زاره عثمان احمد عثمان في منزله قال له :

إن الرئيس السادات معجب كل الإعجاب بما تكتب ! إنه يعتبرك احسن كاتب في مصر !

ومن أجل ذلك سوف يستقبلك في القريب العاجل.

فقال له مصطفى أمين : ولكن ليس لدي ما أقوله للرئيس !

فرد عليه عثمان احمد عثمان مبتسماً :

إن الرئيس يرغب في استشارتك في بعض الأمور.

وبعد يومين طلب الرئيس السادات من موسى صبري ان يبلغ امره إلى مصطفى أمين بان يكتب سلسلة من المقالات يهاجم فيها الوفد وفؤاد سراج الدين فهو خير من يعرف خبايا السياسة المصرية.

فقال مصطفى أمين:

انني في طول حياتي الصحفية لم اتلق امراً بان اكتب مقالات. وكان الرئيس مثلا يشرح لي بعض احداث السياسة ثم يقول لي: إذا احببت ان تكتب في هذا الموضوع فيمكنك ان تكتب ولم يحدث مرة واحدة أن أمرني ملك أو رئيس جمهورية أن أكتب مقالاً!

واستمر مصطفى أمين يقول:

انني اعتقد ان الصحافة فروسية.. وأنا لا أهاجم احداً إلا وهو فوق الحصان فإذا سقط على الأرض توقفت عن مبارزته وقد هاجمت الوفد وهو في الحكم والسلطان وهاجمته وهو يملك عشر صحف ومجلات يمكنه ان يرد علي كما يشاء ويريد. ولكني لا أستطيع اليوم أن أهاجمه وهو اعزل من السلاح ليس لديه جريدة تدافع عنه.

وعندما علم الرئيس السادات بإجابة مصطفى أمين غضب وثار وأمر جريدة «الأخبار» بان تكتب بروازاً في صدر الصفحة الأولى تقول فيه:

ان مصطفى أمين سيكتب ابتداء من غد سلسلة مقالات في «الأخبار» يهاجم فيها الوفد.

وكان تعقيب مصطفى أمين:

انه حر في أن ينشر هذا البرواز ولكنني لن أكتب شيئاً!

وعندما علم الرئيس السادات باصراره وتمسكه برأيه قال متوعداً:

انني سأصدر امراً برفته إذا لم يستجب لأوامري ويكتب هذه المقالات!

وكان رد مصطفى أمين عليه:

يرفتني الرئيس.... ولكني لا اكتب مقالات بأوامر!

وحدثت ازمة عنيفة... من وراء هذا العناد بين رئيس جمهورية وكاتب كبير!

وقال مصطفى أمين يومها:

اني لا اعتبر عملي الصحفي رفاهية وانما اعتبره تضحية!

اني اضع رأسي على كفي لايماني ببلدي وليس لخدمة حاكم!

ثم استمر يقول متعجباً:

انه من سخرية القدر انه عندما يقرر القذافي قتل الصحفيين المصريين الذين يؤيدون السادات يضعني على رأس القائمة! وعندما تقرر جماعة التكفير والهجرة قتل الصحفيين المصريين تضعني أول القائمة.. وعندما تقرر جماعة الرفض اغتيال الصحفيين المصريين يضعونني على رأس الأسماء التي تقرر تصفيتها... ثم يجيء الرئيس السادات بعد ذلك ويقرر رفتي!

انني لا أريد شيئاً سوى ان أرضي ضميري ولا أستطيع أن أهاجم بالأمر أو أؤيد بالأمر!

انني كنت أتصور ان يستدعيني السادات ويستشيرني كخبير في الاعلام عن رأيي في مهاجمة الوفد وفؤاد سراج الدين. كنت سأقول له أن هذا الهجوم لن يهدم الوفد بل سيقويه وان أي حزب سياسي كالمسمار كلما ضربته على رأسه زاد ثباتاً وصموداً!

وعندما بلغ موسى صبري الرئيس السادات برأي مصطفى أمين.

قال السادات: «هذه وجهة نظر لها احترامها».

ولكن يبدو ان احترام وجهة نظره هذه.. لم يدم طويلاً!!

والحقيقة ان مصطفى امين نشر في عام ١٩٤٤ سلسلة مقالات بعنوان «لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟»

كانت عن الخلافات التي قامت بين الملك فاروق ومصطفى النحاس باشا

رئيس الوزراء روى فيها أسرار الأزمات التي حدثت منذ حادث ٤ فبراير وكانت هذه الخلافات تعتبر في تلك الأيام من السياسة العليا التي لا يجوز ان يعلم الشعب بتفاصيلها ولكن كان من رأي مصطفى أمين أن من حق الشعب ان يعرف كل شيء.

واعد مصطفى أمين بالفعل ٣٠ مقالاً عن هذه الأسرار والخبايا ونشرت منها اخبار اليوم ١٤ مقالاً..

وفجأة اصدر الملك فاروق امراً بمنع النشر. وكان الرقابة مفروضة في تلك الأيام على الصحف فلم يستطع ،مصطفى أمين أن ينشر المقال الخامس عشر.

وكان السبب في هذا المنع ان بعضاً من حاشية الملك همسوا في اذنه بان الكتابة بهذه الصراحة من خلال رئيس الوزراء على الملك فيها «تنزيل» لمقام الملك وجعله على قدم المساواة مع رئيس الوزراء!

ايضاً سبق الرئيس جمال عبد الناصر ان طلب في اغسطس ١٩٥٣ من مصطفى أمين ان يدعو للحزب الواحد.

ورد عليه مصطفى أمين بنفس العبارة التي قالها للسادات بعدها باكثر من عشرين عاماً حين طلب منه أن يهاجم الوفد:

— لا أستطيع أن أكتب ما يخالف ضميري.

ولكن قال له عبد الناصر: هذا حقك!.

وعندما كتب مصطفى امين مقاله «لا يا استاذ تابعي» مخالفاً رأيه في الحزب الواحد لم يكن يتخيل وقتها مضار الحزب الواحد ولم يكن يتنبأ بكل ما سيحدث في مصر نتيجة الديكتاتورية والحزب الواحد!

وبعد ٣٣ سنة من كتابة هذا المقال يتساءل مصطفى امين.

هل كنت اتنبأ.. ام كنت اكتب رأيي.. ام كنت احذر! ام الثلاثة معا؟

وأنا أقول له: ان الكاتب اسرع الناس تنفساً لرائحة المستقبل!

فالتمرد كان سمة اساسية لمصطفى امين في مواجهة عبد الناصر والسادات.. وإن كان كل منهما يختلف عن الآخر فالسادات إذا غضب قصف القلم اما عبد الناصر فكان يقصف العمر!!. وقد اغضب مصطفى امين السادات حين كتب «فكرة» عن الحفر والنقر والمطبات في الشوارع وكيف ان كثيرين من المارة يقفون في هذه الحفر فتكسر ايديهم أو سيقانهم أو ظهورهم.

واقترح على كل من يقع في حفرة ويكسر ان يرفع قضية على المقاول الذي رصف الشارع وطلب تعويضاً عن اصابته.

وكان الرئيس في اسوان.. وشكا له عثمان احمد عثمان عن هذا المقال وان المقصود به هو تحريض الشعب على المقاولين.. وإذا بالرئيس يثور على مصطفى امين ويرسل برقية إلى نائب رئيس الجمهورية حسني مبارك يطلب منه أن يبلغ موسى صبري رئيس مجلس الإدارة استياءه الشديد والا يكتب بعد الان في مثل هذه الموضوعات!

وفعلا كان رئيس تحرير «الأخبار» مضطراً لأن يحذف كل كلمة يكتبها مصطفى امين عن وجود حفر أو مطبات في الشوارع!

ولهذا جمع موسى صبري المحررين وطلب منهم الا يكتبوا إلا عن الايجابيات أما السلبيات فلا مكان لها في الجريدة!

ثم كتب مصطفى امين معترضاً على موافقة مجلس الشعب على تعديل الدستور بحيث يحق لرئيس الجمهورية ان يرشح نفسه ما يشاء من المرات مخالفاً نص الدستور الذي لا يجيز لرئيس الجمهورية ان يرشح نفسه اكثر من مرة ثانية!

ولم يستطع كاتب واحد ان يعترض على هذا النص الذي يحول الجمهورية إلى ملكية وان يسلب الأمة حقها في تغيير حكامها. ومن الغريب ان الرئيس انور السادات قال لمصطفى امين عقب خروجه من السجن: انني لا أريد أن ارشح نفسي رئيساً للجمهورية مرة ثانية!

وعارض يومها مصطفى امين هذه الفكرة وطالب السادات ان يبقى في الحكم

حتى يعيد الديمقراطية الكاملة إلى البلاد ويلغي قانون الطوارئ والأحكام العرفية وينهي حكم الفرد نهائياً.

ويومها عارضه السادات بشدة قائلاً له:

انني مصمم يا مصطفى على عدم ترشيح نفسي للمرة الثانية!

ومضت الايام.. ورشح السادات نفسه للمرة الثانية وكان لديه الاستعداد لترشيح نفسه إلى ما شاء الله لولا حادث اغتياله.

والغريب انه عندما انتخب مصطفى امين انور السادات رئيساً للجمهورية للمرة الثانية كتب في «فكرة» انني انتخبه للمرة الثانية.. ولكنني لن انتخبه للمرة الثالثة!!

وسر التغيير الذي حدث بين الرئيس السادات ومصطفى امين هي عبارة قالها مصطفى امين له:

«انني أؤمن يا سيادة الرئيس انك ستبقى بالحرية وستذهب بالاستبداد»!! وأغضبت هذه العبارة السادات كثيراً وانفجر في مصطفى أمين قائلاً: «انني افهم البلد احسن منك الف مرة؟

فرد عليه مصطفى أمين:

الواقع انك فهمت البلد جيداً يوم ان الغيت حكم الفرد والمعتقلات وقمت بحرب اكتوبر ولكن يبدو ان احداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ غيرت نظرتك للأمور.

وكان مصطفى امين قد دعي إلى اجتماع في بيت سيد مرعي رئيس مجلس الشعب في ذلك الوقت حضره الدكتور مصطفى خليل امين عام الاتحاد الاشتراكي والدكتور جمال العطيفي وكيل مجلس الشعب ثم انضم اليهم موسى صبري وكانت هذه الدعوة بصفة مصطفى امين مستشاراً للرئيس؟!

وكان الغرض من الاجتماع هو أن الرئيس يريد اتخاذ «اجراءات» تشريعات لتتقيد الحريات!

وكان من رأى مصطفى أمين إنه لا يجوز عقاب الأمة كلها لجريمة ارتكبها بضعة افراد ! . وان اتخاذ حوادث ١٩ ، ٢٠ يناير ذريعة لحرمان الشعب من حرياته سوف تسيء إلى انور السادات ولن تنفعه.

وعاد مصطفى أمين يكرر لهم ما سبق ان قاله للسادات :

انه سيبقى بالحرية وسيذهب بالاستبداد !

وقال بعض الحاضرين انهم يوافقونه على رايه وانهم سيقولونه للرئيس حرفياً ! !

ولكن الرئيس كان هائجاً ثائراً اشبه ما يكون بالأسد المجروح يريد ان يفترس كل من يقترب منه . ولم يستطيع احد ان يقول للرئيس ان الديمقراطية ليس فيها ضرب ولا تأديب وإنما هي حوار ومناقشة واراء تلتحم باراء !

وإنتهز البعض فرصة ثورة الرئيس وابلغوه بوسائلهم الخاصة ان الحريات هي سبب النكبة وأن الديمقراطية هي التي تهدده وانه اعطى اكثر مما يستحق وانه لا بد من تغيير سياسة اللعب بسياسة العنف والشدة والقمع !

ولم يكن هذا هو رأي مصطفى أمين فقد قال للسادات :

لقد أوصيتك بالحرية لانني أحبك ولو كنت أكرهك لأوصيتك بالاستبداد.

وغضب السادات ولم يقبل وصية من كاتب .. مهما كان قدر هذا الكاتب واشتعل الحوار بينهما منذ خروجه من السجن في عام ١٩٧٤ .

وتمرد قلم مصطفى أمين على السادات حين حاول الأخير ان يقهر حرية الرأي ولم يشفع للسادات انه أخرجه من السجن .. وكتب مصطفى امين رايه بصراحة مطلقة في احيان كثيرة و «بالرمز المغلف» في احيان اخرى .. وأنا أختلف مع الكاتب الكبير مصطفى أمين في كون مقالاته السياسية التي رمز من خلالها لشخصيات سياسية واسقط من خلالها على مواقف بعينها انها مقالات بريئة .. فهي ليست مقالات بريئة كما يصفها ولكنها مقالات كتبها سياسي محنك يعرف كيف يسدّد ضرباته بمهارة واقتدار .. ويلجأ للرمز حين تكون المواجهة فيها اطاحة بالرؤوس !

ولهذا هاجم الكاتب الكبير مصطفى امين الرئيس الراحل انور السدات في (المواجهة) احياناً.. و «تحت الحزام» احياناً كثيرة!

وتصدى بقلمه لمواقف السادات التي خرج بها عن الديمقراطية.. ولم تكن ماركة قلم مصطفى امين «باركر» أو «شيفرز» أو «كاديلاك» ولكنها من نوع نادر لا يستعمل كثيراً.. انها ماركة «كوبرا»!!

فالقلم يستحيل في يده نصلاً حاداً يوجهه إلى قلب الاستبداد والديكتاتورية والعسف والجبروت!

فما يسكبه على الورق ليس حبراً بل قلمه في احيان كثيرة ينفث سماً ناقعاً يلدغ به الحاكم!!

وأمر عبد الناصر ان يدفن الملك فاروق في مصر سراً ! .

صاحبة الجلالة الصحافة هي عين الشعب الحمراء على الحاكمين والمستبدين لانها تكشف الأخطاء وتفضح الخيانات وترتب المسؤليات وهي السلطة الرابعة بجانب السلطات الثلاث : «التنفيذية والتشريعية والقضائية». لكنها في الحقيقة اقوى السلطات جميعها لأنه يقف وراءها الشلال الذي لا يستطيع أحد ان يقف امامه وهو جمهور القراء، فالشعب اصبح الآن صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في كل مكان. واصبح الرأي العام يحتل القوة الضاربة في ارجاء الدنيا.

ولقد اعترف الساسة والمفكرون والأدباء بقيمة الصحافة لما لها من مكانة كبيرة وتأثير خطير، كما حدا بامير الشعراء احمد شوقي ان يقول :

لكل زمان مضى آية ... وآية هذا الزمان الصحف

أما الأديب الفرنسي فولتير فهو يقول :

«في مقدور الصحافة ان تهدم العالم القديم وتنشىء عالماً جديداً»

أما الحكام فلهم راي آخر فهذا «كاسترو»يقول :

«كلما استمعت إلى كلمة «صحافة» تحسست مسدسي».

أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد قال بعد خلعه من الحكم :

«لو عدت إلى يلدز لوضعت محرري الجرائد كلهم في آتون كبريت». اما الكاتب الكبير مصطفى أمين فيقول :

« ... ان الصحف العظيمة لا تموت.. وانما يموت كل من يحاول أن يقتل صحافة عظيمة».

قالها معبراً عن الصحافة الحرة التي تجعل الحاكم يعبر طريقه نحو التقدم على هدى من الديمقراطية السليمة.. فالصحافة الحرة هي العمود الفقري الذي يحفظ توازن الحاكم وبغيرها يختل توازنه وتنقلب الأمور رأساً على عقب!

فالتاريخ لم يسجل لنا اسم حاكم قيد حرية الصحافة فانطلق أو دفنها وعاش أو فقأ عينيها واستطاع ان يرى طريقه في ضباب الأحداث قد يرتفع فوق جثث حريات الصحافة ولكن ليهوي بعد ذلك. قد يعلو صوته فوق كل الأصوات ولكنه يسكت في نهاية الأمر إلى الأبد. فالصحافة الحرة هي إرادة الشعب والصحافة الحرة هي التي تجعل الحكام خدام الأمة لاسادتها.

التيجان فوق رأسها لا الاغلال في اقدامها. انها تمنع قيام الالهة فلا يعبد الشعب إلا إلهاً واحداً ولا يخاف إلا من إله واحد وعندما يحطم الحاكم كل قلم ويقطع كل يد تحمل رأياً ويخرس كل لسان يبدي نقداً يصاب بجنون السلطة ويتوهم انه أصبح الهاً والشعب عبيده..

لا يرفع الناس أصواتهم إلا ليهتفوا بحياته ولا يفتحون أفواههم إلا بالتسبيح بحمده ولا يرون إلا ما يراه ولا ينطقون إلا بما يهواه..

ومن بين كافة ملوك القرن الحالي يعتبر الملك فاروق فريداً من نوعه.. فرغم انه كان حاكماً شرقياً إلا انه كان شاباً مستهتراً يحب حياة الغرب.. اسمه يعني الشخص الذي يفرق بين الصواب والخطأ — لكنه كان شهماً شرهاً فاسقاً مبتذلاً ولصاً».

عندما كان فاروق يطلب الطعام الافطار كان خادمه الايطالي بوللي يحضر صينية عليها طبق كبير به ثلاثون بيضة ساخنة وخبز توست وشاي.. وعندما ينتهي فاروق من التهام أربع بيضات كان باقي البيض يصبح بارداً لذلك كان على بوللي ان يحضر صينية أخرى وطبقاً آخر به بيض ساخن ويتكرر هذا المشهد إلى ان يبدي فاروق رغبته في الانتقال إلى وجبة افطاره الثانية — لحم الكركون «جراد البحر» شريحة من لحم البقر وقطعة من لحم الجمل وفروج وسمان وحمام...

هذه الوجبة حتى يكون فاروق قد شعر بالجوع الحاد يؤلم معدته.. ولا يمكن لأي فرد تصادف ان تناول الغذاء والعشاء مع فاروق ان ينسى مدى الشراهة التي تناول بها فاروق طعامه...».

هذه السطور السابقة كانت ضمن مقدمة كتاب صدر اخيراً اسمه «آخر ملوك مصر» من تأليف الكاتب الانجليزي «هيوم ماكليف»... الكتاب يحكي قصة الملك السابق فاروق منذ أن خلف والده فؤاد حتى رحيله من مصر في ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ بعد قيام الثورة...

والكتاب يتضمن كشفاً لفضائح فاروق وتلاعبه بمقدرات الأمة.

هذه المقدمة تذكرني بصحفي مصري جريء كتب في مقدمة كتاب له بعنوان مرآة يقول : —

«حار الناس فيه ! أهو ذكي أم غبي؟ له عبقرية الأذكياء وتصرفات مجانين أهو مظلوم ام رئيس عصابة لصوص؟ فيه براءة المجني عليه وسمات الجناة !

أهو شجاع أم جبان؟ فيه دفاع النمور وتقهقر الفيران ! أهو عالم بما يجري حوله أم هو الزوج آخر من يعلم !

فهو مبصر واعمى. حي وميت. ارتفع إلى السماء وهوى إلى الأرض. كسب كل شيء وخسر كل شيء كلاعب قمار مجنون أراد ان يكسب المجهول فخسر المعلوم !

انه مرآة بيضاء إذا اقترب منها الوطني ارتسمت فيها صورة الوطن الكبير. وإذا اقترب منها صاحب الأحلام انطبعت عليها صورة رجل يبحث عن مجد عريض وإذا اقترب منها لص بدا فيها رسم زعيم عصابة لصوص !

وهذا هو ما يحير الناس فالاطار لا يتغير والصورة تتبدل وتتغير تشق طريقها وتتعثر ويحسب الناس انه مثل «لون شافي» له ألف وجه... والواقع ان المرآة واحدة.. والذين يتراءون فيها يتغيرون !

من هو؟.

يخطف كل شيء.

يخطف زوجة الرجل وبيت الرجل وبنطلون الرجل إذا بقي للرجل بنطلون!

يخطف الغالي والرخيص لا يفرق بينهما. كل شيء لا يملكه يريده ويسعى اليه ويتمناه ويجد لذة في ان يغتصبه لنفسه...

ويتساءل أهل القرية: ماذا يريد ان يفعل بكل هذا؟ انه يجد في الحرام لذة لا يجدها في الحلال. لو انه عاش شريفاً لزانه غناه وتضاعف ايراده ولكنه يفضل خروفاً لا حق فيه على رولز رويس يملكها! يعشق ما لا يمتلك ويزهد فيما يمتلك يسطو على الحي والميت؟ ويسرق الغريب والبعيد وينهب العدو والصديق.

هناك مرض اسمه الجنون.. جنون السرقة! والمشفقون عليه يقولون انه مريض. اهل القرية يقولون انه لص كبير وهو يظن ان الناس لن يعرفوه والقرية مليئة باللصوص ولكن الناس كلهم يعرفونه.. لانهم جميعاً ضحاياه!

من هو؟

ولم يذكر هذا الصحفي المصري اسم الملك فاروق ولكنه دهش حينما عرف الناس جميعاً من يقصد وكان أكثر الناس معرفة له رجال حاشيته انفسهم! فقد قالوا له من كبيرهم إلى صغيرهم انك رسمت صورة صادقة للملك السابق!

قالها له الأستاذ حسن يوسف رئيس الديوان الملكي بالنيابة في ذلك الحين وقالها كريم ثابت مستشاره الصحفي.. والياس اندراوس مستشاره الاقتصادي.. وقالها كل تشريفاتي أو موظف في القصر! فقد كانوا جميعاً يعلمون الحقيقة كاملة!

وقال له حسن يوسف:

لو تأكد الملك من أنه المقصود بهذا الوصف لأمر بشنقك...

هذا الصحفي الجريء الذي كتب هذه السطور التي كانت يمكن ان تتحول إلى ساطور والذي عرض حياته ورقبته للمقصله هو مصطفى أمين.

كان ذلك في كتابه «عمالقة وأقزام» الذي صور من خلاله حكم الملك السابق فاروق واصدر بعدها كتابه «ليالي فاروق» يقول في مقدمته : —

«ان فاروق الأول ليس هو فاروق الأخير. ان الشاب الرقيق المتواضع الذي بدأ ليس هو الطاغية الجبار الذي انتهى ! ولقد فكرت في وقت من الأوقات ان للرجل شخصيتين متناقضتين متصارعتين : شخصية طيبة وشخصية شريرة. ملكاً مع الشعب وملكاً ضد الشعب وان الأمر انتهى بان الشرير تغلب على الطيب فكان فاروق الأخير ! واعتقد بعض الناس ان فاروق الذي يعرفونه قد مات في حادث القصاصين وان رجلاً آخر شبهه وضعوه على العرش فكانت هذه التصرفات التي ثار لها الشعب وفضحت مصر في انحاء العالم».

انها الحقيقة لا شك فيها عبر عنها الكاتب الصحفي مصطفى أمين فلقد قضى الملك السابق فاروق ستة عشر عاماً ملكاً على مصر يستعبد اهلها ويستذل رجالها ويسرق اموالها وينهب ارضها ويسخر ابناءها ولم تقف نزواته عند حد بل اطلق لشهواته العنان ولم يفكر يوماً في أن يستقر حفظاً لكرامته أو حياء من الناس بل هانت عليه كرامته وهانت عنده اقدار الناس.

كان يسكر ويعربد جهاراً نهاراً ويقامر ويهتك أعراض النساء ويقتل من يقف في طريقه وسخر موارد الدولة ومرافق الشعب لخدمة نزواته ولإرضاء شهواته.

وزاد الأمر سوءاً وبلاء.

فإن الرجل المنحرف عن جادة العقل منذ استولى عليه الهوى واستبد به الشيطان حتى اصبح لا يعرف معنى لكرامته الذاتية ولا يحس اثر الجناية التي يجرم بها في حق الشعب الذي يمثله وحين تتحكم فيه نزواته فيأتي بأعمال احط طبقات السوقة ويسلك اقذر السبل التي لا يلجأ اليها سوى قطاع الطرق وفاسدي الأخلاق.

ضاقت به ارض مصر فنزح إلى الخارج يكشف للعالم سيئاته ويفضح امامه عوراته ويمثل امامه مهازله وهكذا جعل سمعة مصر وكرامتها مضغة في افواه

الغرب. وأخذ الملك يطغى بالباطل ويعتز بقوته مطمئناً إلى جبروته غافلاً عن عين الحق التي ترقبه متجاهلاً نفوس الأمة التي كانت تغلي اسفاً وغضباً لهذا العبث الماجن بكيانها.

وقضى الشعب ستة عشر عاماً تحت حكم الطغيان والاستبداد نعم فيها الملك المستهتر بالرقص على أنين المرضى وصرخات الفقراء وتمتع خلالها بالسباحة في بحر ماؤه عرق الفلاحين والعمال والضعفاء وتملّى بكئوس من دموع الثكالى واليتامى والفقراء واتخم بطنه من أموال الشعب واشبع هوايته من اعراض النساء وروى ظمأه من دم الأبرياء.. وقامر بحقوق شعب ونهضة امة. حوله حاشية السوء وبطانة الفحشاء واصدقاء الرذيلة نسي الملك ان صوت الشعب هو صوت الله وإنه ليس من قوة تحفظ عرش الملك غير ثقة الشعب.

و «ليالي فاروق» يتعرض للجوانب الخفية والشخصية من حياة الملك السابق فاروق ففي هذا الجانب تكمن الأسباب الرئيسية لانهيار فاروق وانهيار نظامه.. وهذا الجانب الخفي يكشف امامنا كل الجذور الأساسية لأخطاء فاروق الكبرى ولياليه وغرامياته وولعه الشديد بالنساء.

ولقد واجه الكاتب الصحفي مصطفى أمين الملك السابق فاروق بحقيقته. لم يخشَ بطش الحاكم لأن رأي الصحفي وكتاباته مسئولية في عنقه ومن صفات الصحفي واساسيات مهنته ان يقول الحق... ان يكون صريحاً امام القراء لأن هناك من هو اكبر من الملك.. هناك الله والشعب.

ولم يكن فاروق موجوداً في القاهرة بل كان في الاسكندرية عندما اعلن عن قيام الثورة وقال البعض: «انه قاتل ولا بد من شنقه مثلما يشنق القتلة خائن يستحق ان نفتك به لا بد من اطلاق النار عليه..» ولكن الثورة اكتفت بطرد فاروق من البلاد بعد أن قدمت لفاروق وثيقة التنازل عن العرش فقام بتوقيعها وقد وقعها مرتين لان التوقيع الأول لم يكن واضحاً.

وفي الساعة السابعة من مساء يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ غادر اليخت المحروسة

ميناء الاسكندرية حاملاً فاروق وزوجته وابنه وعدداً من حاشيته إلى نابولي واستقر هناك في فيلا تبعد مسافة نصف ساعة بالسيارة من روما.

واحتلت فضائح فاروق ولياليه في النوادي الليلية الصفحات الأولى من الصحف في أوروبا وطلق ناريمان حتى احتجت على الطريقة التي يحياها واسرافه ومطاردته للنساء.

وتعرف فاروق على فتاة صغيرة لا تجاوز الثانية عشرة من عمرها ابنة سائق تاكسي من نابولي كانت تحاول ان تصبح ممثلة سينمائية ثم فتاة أخرى في احدى محلات الكوافير اسمها آنا ماريا جاتي.

وذات يوم توجه فاروق إلى منزل آنا ماريا وصحبها معه ووصل إلى مطعم ايلي دي فرانس قبيل منتصف الليل بساعة.. واكل دسته من المحار وجراد البحر وشريحتين من لحم الحمل مع بطاطس ويقول فرانس.. ثم اشعل سيجاراً واخذا في التدخين إلى أن سمع نزلاء المطعم صرخة وصيحات تطلب العون من قاعة سانت تربيز وهناك شاهدوا فاروق ملقياً في احد اركان القاعة وقد احمر وجهه ويداه مرفوعتان عند حلقه.

ووصلت سيارة اسعاف في ظرف دقائق وحاول الدكتور انعاشه في قاعة الطعام وفي سيارة الاسعاف وهي منطلقة به إلى المستشفى وهناك وضعوه في خيمة أوكسجين لكن فاروق لم يعد إلى وعيه قط واخذ نبضه يتذبذب بصورة مستمرة ثم توقف فجأة..

وقد أثارت وفاته اشاعة قوية في الخارج وفي داخل مصر في ان النظام الثوري المصري قد نجح مؤخراً في أن يقتله بالسم ولم يجر أي تشريح للجثة للتكذيب لتلك الإشاعة!

وقد اثارت وفاته مشكلة: أين يدفن؟.. لقد عبر فاروق كثيراً عن رغبته في أن يدفن بجوار والده وبجوار معظم اسلافه الاخرين في جامع «الرفاعي».. لهذا

سعى أحد اقربائه وهو «اسماعيل شرين» لدى السلطات المصرية في أن يدفن بمصر ووافق وقتها «جمال عبد الناصر» على أن يدفن في مصر ولكن بصورة سرية!

وقد هبطت طائرة كوميت تابعة لمصر الطيران في منتصف مارس سنة ١٩٦٥ بمطار القاهرة وعليها جثمان الملك السابق فاروق ثم تم نقله إلى قبر «ابراهيم بن محمد علي» حيث تمت مراسم الدفن في اقل من عشر دقائق في الثانية صباحاً.. ولم يسمع سوى صوت بكاء شقيقتيه «فوزية» و «فائقة» اللتين حضرتا مع زوجيهما وصوت المقرئ الشيخ «سيد» ورحل الجميع بعد قليل ولم يبق سوى رجل عجوز شيب ظل واقفاً وعيناه تنظران إلى الأفق البعيد وعقله وذاكرته يستعرضان ذكريات وأحداثاً بعيدة فقد شاهد فاروق وهو لا يزال طفلاً وشاهد تتويجه ملكاً وها هو يشاركه في مراسم دفنه.. انه راعي القبور الملكية.. حافظ خطاب!

لقد مات آخر ملوك مصر وهو في الخامسة والأربعين من عمره.. ولكنه مات قبل ذلك حين سقط من عين الشعب وحين كشفته الصحافة من بين ثنايا سطورها تحمل معنى نهايته!! وموقف آخر يحسب لمصطفى أمين مع الملوك ورؤساء الوزراء الذين كانوا اكثر بطشاً.

وفي سنة ١٩٣٠ تولى الحكم اسماعيل صدقي باشا وفرض على مصر دكتاتورية باسم الملك فؤاد وعطل الدستور وهدد الصحف بالاغلاق والصحفيين بالسجون.

وكان مصطفى أمين وقتها عمره ١٩ سنة وكان يعمل محرراً في مجلة سياسة اسمها مجلة الرغائب. ووضع مصطفى أمين فكرة صورة كاريكاتورية تمثل مقعد العرش وقد جلس توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكي وهو يدوس بقدميه على مصر وقد وقف إلى يمين العرش اسماعيل صدقي باشا في صورة جلاد يحمل سيفاً يقطر منه الدم ووقف إلى يسار العرش توفيق رفعت باشا وزير الحربية يحمل بندقية ووضع بدلاً من صورة التاج على العرش بومة فوقها علامة الموت.

وكتب تحت الصورة «الرجعية كما تريد ان تحكم».

ونشرت الصورة في مجلة الرغائب في ٧ اغسطس سنة ١٩٣٠.

وفي نفس اليوم اجتمع مجلس الوزراء برياسة اسماعيل صدقي باشا وقرر تعطيل مجلة الرغائب نهائياً.

وعلى الرغم من ان اسماعيل صدقي لم يعتقل مصطفى أمين ولم يقدمه بتهمة العيب في الذات الملكية إلى المحاكمة إلا انه اعتبر اغلاق المجلة لا مثيل له على حرية الصحافة.

واشترك بعد ذلك مصطفى أمين مع السيدة روز اليوسف والأستاذ محمد التابعي في اصدار مجلة استأجروها باسم «البرق».

ثم صادرت حكومة اسماعيل صدقي العدد الثاني المعد للصدور في يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠ وانتظرت الحكومة حتى تم طبع العدد ثم صادره البوليس في المطبعة وفي نفس اليوم اصدرت حكومة اسماعيل صدقي قراراً بتعطيل مجلة البرق نهائياً!!

وكانت كارثة مالية حلت بالجريدة ثم مصادرة المجلة في المطبعة على الا يدخل فيها مليم واحد من ايراد التوزيع والإعلانات فلا تجد مالاً تدفعه لمرتبات المحررين ولا أجر المطبعة ولا ثمن الورق!

ولكن الشعب كان يقوم بعملية التعويض فكلما صادرت حكومة عدداً من جريدة أو مجلة تضاعف توزيعها في العدد التالي أو في المجلة التي تصدر مكانها.

وعن هذه الأيام العصبية يقول الكاتب الصحفي مصطفى أمين:

«اعتبرت تلك الأيام المريرة اياماً للقيامة. كان الحاكم فيها هو الإله الذي يحاسبنا وكان دائماً يقذف بنا إلى جهنم الحمراء!»..

وعندما اقفلت كل الصحف التي اعمل بها وجدت ان واجبي في المعركة على الطاغية ان انتقل بقلمي من الجريدة إلى الشارع. وكنت انا وأخي طالبين في مدرسة الخديوية. ونظمنا اضراباً في جميع المدارس احتجاجاً على الغاء الدستور والاعتداء على حرية الصحافة.. واستجابت المدارس لدعواتنا وحدثت معركة حامية بين الطلبة والبوليس.كان الكونستبلات الانجليز يطلقون علينا الرصاص ومن

نوافذ المدرسة كنا نلقي على الكونستبلات الانجليز تحت الدراسة فكانت تفعل بهم ما يفعل الرصاص... ثم قبض علينا البوليس وزج بنا في السجن وصدر قرار مجلس الوزراء برفتنا من جميع المدارس وحرماننا من جميع الامتحانات..

ولكن هذا الحادث زاد من ايماني بان صوت الجريدة اعلى من صوت المظاهرات وأن الجريدة تستطيع ان تسقط الطاغية وان تهز المقعد تحته اقوى مما تستطيع هتافات الجماهير بسقوط الطاغية والطغيان.

وعدت أعمل في الصحافة من جديد. واشتركت في تحرير «الصرخة» ثم في مجلة روز اليوسف إلى أن سقط اسماعيل صدقي وبقيت الصحافة!».

وفي سنة ١٩٣٥ كتب مصطفى أمين مقالاً في جريدة الجهاد.. قامت له القيامة.. فقد حدث ان كتب في ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٥ مقالاً يعترض فيه على البرنامج الذي وضعه الملك فؤاد لسفر ابنه الأمير فاروق ولي العهد إلى انجلترا لأكمال دراسته قال فيه بالحرف الواحد:

«لي ملاحظات على سفر الأمير فاروق إلى انجلترا ارفعها باحترام إلى من يهمهم الأمر وقد يعدون عملي هذا تطفلاً وقد يعدون عملي هذا تدخلاً ليس من حقي ولا من شئوني ولكني ادعي ان هذه الأمور من اخص شئوني وشئون الشعب كله ولو كان لدينا برلمان لطلب الإطلاع على برنامج تعليم الأمير وعلى السياسة المتبعة في تربية سموه لنناقشها حرفاً حرفاً..

«كان أول ما الاحظه ان صاحب السمو الأمير سوف يسافر إلى انجلترا لدراسة الشئون الحربية فيها وقد يكون هذا مفهوماً في الماضي يوم كان يشترط في الملك ان يكون قائداً أو غازياً وفاتحاً... ولكننا اليوم في عصر آخر في عصر لا يقوده الجنود ولكن الساسة هم الذين يقودون الجنود ويوجهون ــ الجيوش فكم كنت افضل لو أن الأمير يدرس العلوم السياسية والاقتصادية حتى يستطيع ان يعرف الأحوال العامة للشعوب المختلفة وشعبه على الخصوص.

«ثم لماذا هذه الحاشية كلها»؟.

«نعم ان الأمراء المصريين الذين كانوا يسافرون قديماً لطلب العلم في أوروبا كانوا يصحبون حاشية كهذه بل اكبر من هذه ولكننا اليوم في زمن الديمقراطية في زمن يجب ان يختلط فيه الأمير بالشعب ويمتزج به ويحيط بشئونه ويدرس امزجة العامة وأراءهم.. وافضل ألف مرة لو سافر الأمير كتلميذ بسيط ليعرف روح العصر الذي نعيش فيه وهو امر لا يمكن ان يعرفه انسان وهو جالس في قصر واسع ومحاط بحاشية ضخمة.. ولا يمكن له نظام الحياة التي سوف يعيشها من أن يقابل الزائرين إلا نوعاً مخصوصاً منهم وبتقاليد ومراسم كالتقاليد والمراسم المتبعة في القصور الملكية الكبرى.

«إنني كنت أفضل لو أن الأمير التحق بالجامعة المصرية ودرس بها لأنه سوف يحكم المصريين لا الإنجليز. ولكن ما دام الأمر قد تقرر وسبق السيف العذل كما يقال فليفكر من بيدهم الأمر في تغيير وجهة دراسة الأمير لتتلاءم مع روح العصر ومع العالم الحديث».

وما كاد ينشر المقال حتى قامت القيامة. احدث نشره ضجة كبرى فقد كانت هذه أول مرة يجروء فيها كاتب على التدخل في مثل هذه المسائل! وغضب الملك فؤاد لكنه لم يأمر بالقبض على مصطفى امين!...

كل الذي حدث ان محمود شوقي باشا سكرتير خاص الملك فؤاد اتصل بتوفيق دياب صاحب الجهاد وقال له الملك يعتقد ان كاتب المقال شيوعي. وانه سبق ان كتب مقالاً ضد الأمراء مما يؤكد اتجاهه الشيوعي فاكد له الأستاذ محمد توفيق دياب انه غير شيوعي وانه راجع المقالين بنفسه واقرهما..

وكان المقال الثاني قد نشره قبل ذلك في العدد الصادر من جريدة الجهاد يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٣٥ وقال فيه:

«انا رجل طويل اللسان وقد تكون هذه هي فضيلتي الوحيدة في زمن اصبحت الفضائل بسعر التراب.

«وهذا الموضوع الذي أكتب فيه اليوم كان يعكر صفائي وكان يزعجني في

وحدتي وكان يثيرني في سكوني وكلما استعذت بالله من الشيطان ووسوسة الشيطان وكلما وضعت على «الخبر» ماجور وكلما تناسيت ونسيته كلما فعلت هذا اتهمت نفسي بانني جبان.

«اننا لا نرى أمراءنا ولا نسمع عنهم إلا ذاهبين أو عائدين من سباق الخيل أو مسافرين أو قادمين من صيد وقنص في أواسط افريقيا في رحلات تكلف المئات والألوف من الجنيهات».

«اننا لا نحس انهم يحاولون ان يعرفونا او يتعرفوا علينا».

«اننا نحب من الأمراء أن يتصلوا بالشعب وان يعيشوا مع الشعب وللشعب».

«لهذا نرجو ان نراهم يهتمون بحركات شبابنا ويشتركون معنا في جهادنا ويبذلون اموالهم لنصرة قضيتنا....».

«إن عليهم ان يقتصدوا في رحلاتهم وفي بذخهم وان يسرفوا في اهتمامهم بالأمة التي هم جزء لا ينفصل عنها»...».

إن توفيق دياب صاحب الجهاد لم يغضب من مصطفى امين على هذه الزوبعة بل وقف بجانبه ولكن مصطفى امين اعتبر ما حدث اعتداء على حرية الصحافة!

كيف يجوز للملك ان يحتج على رأي حر. كيف يجوز ان يغضب لان كاتباً ابدى رأيه وانتقد تصرفاً لجلالته فيتهم الكاتب بانه شيوعي.. كان هذا في رأيه اعتداء من صاحب الجلالة الملك على صاحبة الجلالة الصحافة! ان الملك يملك ولا يحكم ومعنى هذا إنه ليس من حقه أن يغضب!

ولقد كتب مصطفى أمين مقالاً ونشره في مجلة آخر ساعة المؤرخة بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٣٩ (وعمره ٢٥ سنة) بعنوان الوصايا العشر وكان المقال موقعاً باسم مصطفى أمين حتى يتحمل وحده مسئوليته. جعل موضوعه ان الحركة الوطنية التي تزعمها سعد كانت ولا تزال تنهض على اتحاد المسلمين والأقباط وان علي ماهر بتعصبه ضد الاقباط يزيف هذه الحركة ويهزمها.

وانتقم علي ماهر من مصطفى امين بأن فصل اباه من وظيفته...

وهذا المقال قد وصفه المفكر الأستاذ سلامه موسى بانه مثال على الشجاعة والتبصر ودعوة الإنسانية والمصلحة للوطن وتزيد قيمته عندما تعرف انه نشر في احرج الأوقات إذ كان الشائع وقتئذٍ أن علي ماهر ينوي وقف البرلمان أو الغاءه. وبمعنى آخر كان يرغب في الحكم الديكتاتوري.

ومع ان المقال قد نشر من مواطن إلى مواطن فإن علي ماهر استقبله بغضب أو حمله على أن ينتقم من المرحوم محمد امين يوسف (والد مصطفى) بأن فصله من منصبه...

وختم مصطفى أمين وصاياه العشر السياسية بقوله:

«وأخيراً.. هذه الوصايا العشر نقدمها مخلصين إلى رفعة علي ماهر باشا وله أن يقرأها ويلقي بها في سلة المهملات!

ولكن ليذكر جيداً أن كثيراً من رؤساء الوزارات القوا بالنصح الخالص في سلة المهملات.. فانتهى بهم الأمر إلى أن وجدوا انفسهم ايضاً.. في سلة المهملات!.

ولكن ما اعتبره مصطفى أمين اعتداء على صاحبة الجلالة في تلك الأيام كان يعتبر «زغزغة» وهزاراً قياساً إلى ما يمكن ان تراه الصحافة من عدوان وصلب ودفن وهي على قيد الحياة!

ولقد عرف مصطفى أمين بحكم عمله الصحفي رؤساء وزراء في مصر كانوا يخافون الصحافة وكانوا يحترمونها وعرف حكاماً كانوا يحتقرونها ويخافون منها.

وعرف بعض الحكام الذين بدأوا حكمهم وهم اصدقاء للصحافة ثم انتهوا إلى اعلان الحرب عليها فقد احبوها عندما مدحتهم وكرهوها عندما انتقدتهم وتصوروا انهم لو استطاعوا لاسكتوا كل الأفواه حتى لا يبقى إلا أصوات المسبحين بحمدهم والمشيدين بمآثرهم.

ولقد رأى مصطفى أمين حاكماً واحداً كان ضد حرية الصحافة في وقت من الأوقات ثم انقلب بعد ذلك صديقاً لها مدافعاً عنها...

كان هذا الرجل هو محمد محمود باشا.

عندما كان رئيس وزراء مصر سنة ١٩٢٨ كان يكرّه الصحافة وقد عطل الدستور وراء حرية الصحافة وكان الصحفيون يلعنونه ليل نهاراً!

وقد سأله مصطفى أمين عن سر تغيره فقال له:

«ان الزمن علمنى! انني اعرف انني اخطأت في المرة الأولى. تصورت ان الصحافة الحرة تضع العقبات في طريق الحاكم وتمنعه من الاصلاح. لم احمل التهم الباطلة التي وجهت إلي. لم أقبل ان تتهمني الصحف في طغياني فعاقبتها بمصادرة حريتها. ثم مكثت في المعارضة عشر سنوات وعرفت في تلك السنوات قيمة حرية الصحافة وتأكدت أنني لو كنت تركت الصحافة حرة لما وقعت في كثير من الأخطاء التي وقعت فيها...».

انها صاحبة الجلالة التي تكشف فساد الظلام!.

قال هيكل لمصطفى أمين :

معي رسالة لك من عبد الناصر.. مصرعك سيكون في القاهرة ! .

كان أول لقاء بين الكاتب مصطفى أمين والصاغ جمال عبد الناصر في منزل أم كلثوم في حفلة شاي اقامتها ولعلها الحفلة الوحيدة التي اقامتها بمنزلها طوال حياتها والتي حضرها العسكريون الذين حوصروا في الفولوجا وكان بينهم مدني واحد هو.. مصطفى أمين..

وحين استقبل ابراهيم بغدادي مصطفى أمين في منزل أم كلثوم قاده نحو منضدة يجلس عليها جمال عبد الناصر وحيداً بمفرده وقال له: الصاغ جمال عبد الناصر.

وتصافح مصطفى أمين مع جمال عبد الناصر وهو يعرفه بنفسه.

— انا مصطفى أمين.

فقال عبد الناصر ضاحكاً.

— وكيف لا أعرفك وكل نقودي ضائعة على صحفك. لقد كنا نرسل احد الجنود في الفالوجا ليخترق الحصار ويشتري لنا أخبار اليوم!

وتجاذبا اطراف الحديث حول الديمقراطية المفتقدة وضرورة تغيير الأوضاع خاصة بعد مأساة حرب فلسطين وإن الأمر يستتبع تغيير الصورة السياسية في مصر.

ومن المفارقات الغريبة أن مصطفى أمين كتب في صيف سنة ١٩٥٠ يؤكد ضرورة ثورة في مصر وقد كتب في الموقف السياسي في مصر بتاريخ ٩ سبتمبر مقالاً بعنوان «البحث في قائد» يقول فيه: —

«الشعب يبحث عن قائد. قائد يقوده من الهزيمة إلى النصر. ومن اليأس إلى الأمل، ومن العدم إلى الحياة قائد يرفع الشعب ويرفع على رأسه يتقدم ولا يهاب. يتكلم ولا يخاف يزأر في الغافلين ان استيقظوا ويصرخ في العابثين واللاهين ان ارفعوا ايديكم!

الشعب يبحث عن قائد يمتلىء صدره بالايمان لا بالنياشين! يحاول أن يرفع الشعب ولا يغتني على حساب الدولة! قائد يعلم ان قيادة الشعوب ليست مغنماً، إلا للصوص. وليست عضوية في ادارة شركة تدر الذهب على المديرين والرؤساء!

الشعب يريد قائداً لا يثري ويزداد الشعب فقراً، ولا يلعب القمار، والشعب يريد كل وقته للعمل.. ولا يعتبر مصر ضيعة يستغلها أو بقرة حلوباً يستنزف لبنها.

الشعب يريد قائداً يعتبر المصريين جميعاً انسباءه واصهاره. واقاربه ومحاسبيه، ويعتبر خزائن الدولة حراماً عليه وعلى من يلوذ به. نريد رجلاً يبني للفقراء بيوتاً، لا أن يبني لنفسه قصوراً. نريده ان يهتم بمضاعفة دخل العمال والفلاحين، لا أن يضاعف دخله الشخصي على حساب العمال والفلاحين!

والشعب يريد قائداً له ارادة، لا رجلا مسلوب الارادة يسيره من حوله، يريده رجلاً قوياً لا يضعف للمال، ولا يحني رأسه للسلطان، ولا يشتري الدنيا بالآخرة.

ان العلم اليوم ملقى على الأرض فمنذا الذي يتقدم لحمله؟ إذا تقدم رجل واحد سارت وراءه الملايين، وإذا نادى رجل واحد لبى الشعب النداء.

اننا على ابواب تطور جديد، فالآراء اليوم تصهر بوتقة الزمن. والأفكار الجديدة تتوثب لتخرج إلى الناس، وهي في حاجة إلى رجل يتبنى هذه الآراء والأفكار، ويعيش لها، أو يموت في سبيلها.

وان الزمن الذي كانت تسير فيه الشعوب على غير هدى قد انتهى ولن

يعود، فلا بد من رجل وبرنامج، ولا بد من قائد مؤمن برسالة هذا الشعب، الذي يريد ان يبعث من جديد.

ان كل انسان تجتمع معه اليوم يقول لك «اين الرجل الذي يقودنا؟» فنحن اشبه بجيش مستعد في حاجة إلى حامل البوق ينفخ ايذانا بالابتداء، فليتقدم الرجل، أي رجل ولينفخ في البوق صيحة النداء، وليعلم ان هذه الصيحة ستأخذ سبيلها إلى آذان الملايين.

نريد ذلك القائد اياً كان، لا يعنينا، إن كان صديقاً أو خصماً، لا يعنينا ان كان في أرفع المناصب أو في احقرها، لا يهمنا ان كان حاكماً أو محكوماً، انما كل ما نريده ان نجد رجلاً شجاعاً مؤمناً بحق هذا الشعب في أن يحكم حكماً شريفاً عفيفاً وطنياً قومياً.

في سنة ١٩١٨ وجدت مصر ثلاثة رجال يقولون لأقوى دولة في العالم: اخرجي من بلادنا. قالوها دون ان يفكروا في عاقبة هذا النداء قالوها ووقفوا في مكانهم لا يخشون الطغيان والجبروت.

قالوها ولم يفكروا في أملاكهم، ولا زوجاتهم ولا مستقبلهم السياسي وكان تعداد مصر حينئذٍ ١٤ مليوناً واليوم نحن أكثر من عشرين مليوناً ولسنا في حاجة إلى ثلاثة رجال.. بل إلى رجل واحد».

وقد اثر هذا المقال كثيراً في عبد الناصر حين قراه لأول مرة.. وكان بمثابة الاشارة الخضراء له بضرورة قيام الثورة بل أنه قرأ هذا المقال أكثر من عشر مرات!

وراح يعلم بالقلم الرصاص تحت فقرات منه ثم دعا المقربين اليه من الضباط الأحرار إلى الاجتماع وقرأ عليهم المقال. شرح لهم السطور التي وضع تحتها خطاً وقال:

— معنى هذا المقال ان البلد مستعدة الآن للقيام بثورة وانها سوف تقبلنا وتؤيدنا رغم اننا ضباط صغار وغير معروفين!

وابلغ دليل على تأثير هذا المقال في جمال عبد الناصر انه بدأ بالفعل يبحث عن قائد للثورة تشترط فيه الشروط المكتوبة في المقال واستبعد بعض الأسماء واتجه إلى بعض الأسماء منها الفريق عزيز المصري واللواء أحمد فؤاد صادق واللواء محمد نجيب.

ورفض الفريق عزيز المصري.

ورفض اللواء فؤاد صادق.

وقبل اللواء محمد نجيب.

بل ان عبد الناصر ظل عدة أيام يقسم المرشحين على خانات الصفات المطلوبة. وحدث ان عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعاً عقب تأميم الصحافة لرؤساء تحرير الصحف والمجلات وقال لهم ان مقال «البحث عن قائد» اثر فيه كثيراً قبل قيام الثورة!

ولعل هذا المقال «البحث عن القائد» ابلغ دليل عملي على تأثير الكلمة المكتوبة على الثوار.. لتنفيذ التنظير الثوري إلى واقع عملي!

ولكن هل وجد مصطفى أمين هذا القائد في شخص جمال عبد الناصر بعد ذلك؟

وجهت هذا التساؤل إلى الأستاذ مصطفى أمين ذات يوم فقال:

وجدت هذا القائد في السنوات الأولى في جمال عبد الناصر.. لأنه كان شاباً مثلي وكان قريباً مني في تفكيري والاهم من ذلك انه كان يقول لي انه يؤيد الديمقراطية مائة في المائة يوم استقال عبد الناصر من مجلس الثورة اتصل بي بالتليفون وقال لي انا استقلت من مجلس الثورة من اجل الديمقراطية وكلهم ضد الديمقراطية وقد تبين لي بعد ذلك ان خالد محيي الدين كان مع عبد الناصر في الحفاظ على الديمقراطية ولقد سعدت لأن عبد الناصر كان حريصاً على الديمقراطية واستمر على هذا الحال حتى جاء من التفوا حوله وكانوا ضد الحرية!

وفي عام ١٩٥٢ كتب مصطفى أمين سلسلة مقالات في الأخبار واخبار اليوم

عن الملك فاروق.. وهاج اعضاء مجلس قيادة الثورة.. مصطفى أمين يريد ان يذكر الشعب ثانية بفاروق! لا بد ان توقف هذه المقالات.. ولكن عبد الناصر قال لهم:

— بالعكس.. انه يكشف فساد الملك وكيف كان يحكم مصر؟

ولا بد ان يعرف الشعب الأسود والأبيض؟

واقنعهم وعاد مصطفى امين يكتب من جديد مساوئ فاروق وتابع الشعب مقالاته باعجاب شديد.. ولكن عاد اعضاء مجلس قيادة الثورة يلحون على عبد الناصر ان يوقف هذه السلسلة.. وأوقفت وكان لا يزال منها ستين مقالاً لم تنشر!

ثم طلب بعدها عبد الناصر من مصطفى أمين أن يكتب القصة الحقيقية للثورة بعد أن روى له تفاصيلها واسرارها وكشف له لأول مرة عن اسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس قيادة الثورة.

واجتمع انور السادات بمصطفى امين بناء على أوامر عبد الناصر ليراجع معه كل مقال قبل نشرة وقرأ على عبد الناصر في التليفون المقال الأول ولم يعدل منه سوى ثلاث كلمات.

وما ان نشر المقال الأول في الصحف حتى قامت قيامة الضباط الأحرار فقد نشرت صورة جمال عبد الناصر بمفرده في الصفحة الأولى وقد نشر صورة باقي اعضاء مجلس قيادة الثورة الثمانية وهم عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وصلاح سالم وجمال سالم وأنور السادات وعبد الحكيم عامر في صفحة داخلية مع بقية المقال.

ثم نشر بعد ذلك قصة ضم زكريا محيي الدين وعبد المنعم امين ويوسف صديق وحسين الشافعي إلى عضوية مجلس قيادة الثورة ثم قصة انتخاب محمد نجيب رئيساً لمجلس الثورة بعد تنازل جمال سالم.

وما كادت الأخبار تنشر هذه السلسلة بعنوان «قصة التسعة» حتى ثار

الضباط الأحرار فقد كانت المرة الأولى التي ينشر فيها اسماء مجلس قيادة الثورة وكان قبلها كل واحد منهم يعتبر نفسه عضواً في مجلس قيادة الثورة !

وقد اتصل بعدها جمال عبد الناصر بمصطفى أمين تليفونياً واخبره بنبرة كلها جدية على غير العادة في الأحاديث بينهما بانه سوف يجري تحقيقاً معه لأنه احدث فتنة في القوات المسلحة..

واسقط في يد مصطفى أمين.. فتنة في القوات المسلحة معناها الاعدام وخاصة وان الثورة كانت لا تزال في بدايتها !

وارسل بالفعل قائد الجناح جمال سالم للتحقيق معه في هذه التهمة الخطيرة وما كاد يغلق الباب على جمال سالم ومصطفى أمين حتى استغرق جمال سالم في الضحك ومصطفى أمين في دهشة مما حدث !

وإذا بجمال سالم يقول لمصطفى أمين :

— انها مسرحية رتبها جمال عبد الناصر ليهدئ من ثائرة الضباط الغاضبين على اختيار اعضاء مجلس الثورة وانه سيأمر بوقف المقالات !

وتنفس مصطفى أمين الصعداء..

وكان أول مرة يعرف فيها ان جمال عبد الناصر يكذب !

وفي اغسطس ١٩٥٣ طلب البكباشي جمال عبد الناصر من مصطفى أمين ان يزوره في بيته بمنشية البكري للتحدث في أمر هام.. وفي حديقة المنزل تجاذبا اطراف الحديث.. حول ما يجب عمله بعد انتهاء فترة الانتقال التي أوقفت الدستور والغت الأحزاب ثم فجأة التفت عبد الناصر إلى مصطفى أمين قال له :

— اريدك ان تكتب في اخبار اليوم لتدعو إلى الحزب الواحد.

وكان رد مصطفى أمين عليه :

— انا اكتب ما يخالف ضميري ! .. انا غير مؤمن بالحزب الواحد لأنه ضد مصلحة البلد !

فقال له عبد الناصر: من حقك.. ولكن هل لديك مانع في ان يكتب غيرك إذا كان مقتنعاً بالحزب الواحد!

وكان رد مصطفى أمين:

— لا مانع عندي ان انشر أي مقال يدعو للحزب الواحد بشرط واحد هو ان اكتب ردي في نقد الاحزاب.

وانطلق عبد الناصر يقول: اتفقنا!

ولم تمضِ ايام حتى زار محمد التابعي مصطفى أمين في مكتبه ليبلغه بأن البكباشي جمال عبد الناصر قد فاتحه في أمر القيام بحملة للمطالبة بقيام حزب واحد للتمهيد للرأي العام لقبول هذه الفكرة.

وقال التابعي لمصطفى أمين:

— انني احس ان هذه هي رغبة عبد الناصر فهو يرى ان مصر تحتاج إلى ثلاثين عاماً على الأقل من حكم الحزب الواحد والرجل الواحد والرأي الواحد!

وكتب مصطفى أمين ان نظام الحزب الواحد فشل في كل أرجاء الدنيا في المانيا فلم تكسب منه سوى الخراب والدمار وفي ايطاليا حولها إلى مستعمرة مغلوبة على امرها وفي اليابان فشل فشلاً ذريعاً.. وفي تركيا كان هو حزب دكتاتورية مصطفى كمال اتاتورك.

وكتب التابعي مقالة كلها هجوم على مصطفى أمين يبشر بالحزب الواحد. وكان رد الأستاذ مصطفى أمين مقالة تاريخية بعنوان: «لا يا استاذ تابعي».. في ٢٦ اغسطس ١٩٥٣.. حيث كتب يقول فيها:

«ان استاذنا التابعي غاضب.. انني كتبت اقول — بمناسبة أو بغير مناسبة — ان نظام الحزب الواحد فشل في البلاد التي اخذت به.. فشل في ايطاليا... وفشل في المانيا... وفشل في تركيا...

والأستاذ التابعي يعتقد ان نظام الحزب الواحد هو الدواء الشافي لكل العلل

وكل الأمراض.. وقد كنا نسمع إلى وقت قريب عن اختراع دواء عجيب يشفي ضغط الدم وفقر الدم والأملاح والبول السكري والبرد والحمى والامساك والإسهال.. وهو يتصور ان حزباً واحداً يحكمنا لمدة عشر سنوات — على الأقل — يستطيع ان يفعل المعجزات ويحول الصحراء إلى جنة والحكام الفاسدين إلى ملائكة والضعفاء المتخاذلين إلى أقوياء مناضلين.. تماماً كما يفعل الدواء الشافي العجيب.

فأنا اختلف مع الأستاذ التابعي في ان الحزب الواحد يستطيع ان يفعل كل هذا وأن يحول الفسيخ إلى شربات.. ولا اتصور ان في امكان بلادي ان تنهض لأن فيها حزباً واحداً فقط يحتكر الحكم والسلطان..

وما معنى الحزب الواحد؟

معناه حكم رجل واحد.. إله لا شريك له.. طاغية لا يخضع لقانون.. الويل لمن يعارضه والموت لمن يقاومه.. والدمار لمن يقف في طريقه.

إن كل رجل وقف في طريق هتلر كان مصيره الموت أو الاعتقال.. يكفي ان يكون رجل الجستابو لا يحبني ليدبر لي المكائد وليقدم تقريره السري بانني انتقد النازي.. فيقبض علي واحاكم امام قاضي نازي وأعدم بيد جلاد نازي.. فقد القضاء استقلاله وأصبح موظفاً في الحزب.. وفقد البوليس عدالته وأصبح لجنة فرعية للحزب وفقد كل شيء طابعه وأصبح آلات مسخرة في يد رجل واحد..

وقد يكون هذا الرجل مجنوناً أو قد يسكره خمر السلطان كما حدث لحكام مستبدين عديدين فيحكم بلده وهو مجنون ولا يستطيع احد ان يفتح فمه وينتقده.. أو أن يطالب بتطبيق مبادئ العدالة والقانون..

فعندما يدخل الحزب الواحد من الباب يخرج القانون من النافذة، وتخرج العدالة وتخرج المساواة، وتخرج معه الفرص المتكافئة التي هي من حق كل فرد من أفراد الشعب وقبل كل هذا تخرج الحرية، وليتأمل الأستاذ التابعي عشر سنوات كاملة في مصر بغير حرية..

وعشر سنوات بغير حرية .. معناها عشر سنوات بغير صحافة ، وعشر سنوات بغير صحافة معناها عشر سنوات بغير الأستاذ التابعي ..

ان الأستاذ التابعي يستطيع اليوم ان يكتب ، وينقد ، ويهاجم — حتى في فترة الانتقال — وصحيح ان هناك رقابة .. ولكنه حتى الآن لم يحدث أن وزير الدعاية — الارشاد — اتصل تليفونياً بالأستاذ التابعي ليعطيه عنوان مقالة ، كما يحدث في كل بلد فيه نظام الحزب الواحد ..

فهل حدث في بلد من بلاد الدكتاتورية — أي الحزب الواحد — ان ظهرت مقالة واحدة فيها انتقاد الحاكم؟.

الم يكن هتلر يقتل خصومه بمسدسه ، فتخرج صحف المانيا كلها تصفق للعمل العظيم ، الم يحدث أن مئات الالوف كانوا يقتلون في معسكرات الاعتقال بلا ذنب ولا جريمة ، فيخرج كتاب هتلر بمقال واحد يحيون العدالة ، ويمجدون شريعة الغاب .. الم يحدث ان نائباً انتقد موسوليني فوجد في اليوم التالي مقتولاً ..

ألم يختف رجال من ايطاليا عن الحياة ، أو امضوا في السجن عشرات السنين لأن احدهم قال في مجلس خاص انه لا يوافق على اعتداء موسوليني على استقلال الحبشة ..

ألم يسمع الأستاذ التابعي عن الحزب الواحد في روسيا .. وكيف ان أفراد الأسرة يتجسس بعضهم على بعض .. وكيف ان سكان موسكو مكثوا عشرات السنين لا يستطيعون مغادرتها إلى بلد مجاور في نفس روسيا إلا إذا اخذوا اذناً من البوليس .. الم يسمع الاستاذ التابعي ان الموظف في ايطاليا والمانيا لم يكن يستطيع ان ينال ترقية إلا إذا كان عضواً في الحزب ، أو محسوباً لأحد زعماء الحزب .

ثم هل يمنع الحزب الواحد الرشوة والفساد في ايطاليا والمانيا؟

الم يحدث ان زعماء الحزب كانوا يعيشون كأغاخان بينما كان يعيش افراد الشعب كغاندي ..

الم يكن جورج يملك القصور وسكان المانيا في وقت الحرب لا يجدون الأكواخ. الم يقفز موسوليني بزوج ابنته الكونت شيانو فوق كل الرؤوس ويرفعه من موظف صغير إلى وزير خارجية البلاد بلا سبب إلا أنه متزوج ابنته الدكتاتورية..

ولما اختلف موسوليني مع زوج ابنته اعدمه رمياً بالرصاص..

انني لا أجد اصلاحاً يمكن ان تحققه الدكتاتورية ولا يمكن ان يحققه الدستور..

فأنا أرى ان كل ما اصاب مصر هو نتيجة حكم الرجل الواحد والحزب الواحد..

وأنا أؤمن بانه يجب — بعد فترة الانتقال — ان تحكم مصر باكثر من حزب ولنتصور ماذا يحدث في مصر لو حكمت بحزب واحد..؟

يتحول الشعب كله إلى «كليشية واحد» يفقد الشعب شخصيته يعمل بامر الدولة ويأكل بأمر الدولة ويتكلم بأمر الدولة.. ويتكلم بأمر الدولة.. ويسكت بامر الدولة يلغي «التفكير».. ويصبح من حق الدولة ان تقرر الصحف التي نتصفحها والكتب التي نقراها والإذاعة التي نسمعها والأفلام التي نراها..

تنتشر الجاسوسية فيتكلم الناس همساً يسيرون وهم يتلفتون وراءهم يتوقعون في كل يوم وشاية تزج بهم في اعماق السجون..

لا يشعر الفرد بإنه في امان.. حديثه مهدد حياته مهددة وظيفته مهددة.. لا يجد من يلجأ اليه أو يحميه من طغيان الحاكم.. الشكوى ممنوعة والصراخ ممنوع... ولا يد له في الحكم لا يستطيع ابدال الحاكم إلا بثورة ولا يستطيع ان يصلح الحال إلا باراقه الدماء..

لا يأمن الفرد على بيته، ولا على ماله ولا على مقدساته من أن يعبث بها حاكم مستبد يعلم انه باق بلا رقيب ولا حسيب..»

وقد يجيء لنا حاكم عادل ، وقد يكون هذا الحاكم أحد الملائكة ، ولكن من يضمن لنا أن يعيش عشر سنوات ، هل يستطيع الأستاذ التابعي أن يحصل لنا على ضمان من شركة تأمين السماء ، ان هذا الحاكم العادل الذي يرتفع فوق الشهوات ، وفوق الأغراض ، وفوق الخصومات ، هل يستطيع ان يحصل من شركة تأمين على ضمان بأنه سيعيش عشر سنوات . ؟

فإذا حدث واعطته شركة التأمين هذا الضمان .. فمن يضمن لي انه لن ينحرف ، كما انحرف حكام كثيرون في الماضي بدأوا ملائكة وانتهوا شياطين ..

وإذا حدث ان تكونت شركة تأمين على نزاهة وعدالة الحكام ، واعطت للشعب بوليصة التأمين هذه .. فمن يضمن ألا يجيء ، إلى جوار هذا الحاكم اصدقاء ومحاسيب ، يطغون بغير ان يعلم . ويستفيدون من الحكم آمنين من أنه لا توجد معارضة . ولا توجد صحافة حرة ، ولا يوجد رجل يجروء على أن يعلن عن الجرائم التي ترتكب بغير علم الحاكم بأمر الله ..

وإذا كانت شركات التأمين هذه كلها لم تتألف بعد ، فكيف نقبل أن نعطي صكاً على بياض لرجل واحد ، مهما كان هذا الرجل ، ليحكم هذا البلد عشر سنوات ، وان تطلب إلى هذا الشعب أن يتحول فجأة إلى قطعان من الغنم تسير خلف رجل واحد ، بغير أن يكون لها حق المحاماة .. أو حق الهرب من سكين الجزار !

اننا نقبل الغاء الأحزاب في فترة الانتقال ، ولكننا نرفض الغاءها بعد فترة الانتقال .. اننا نعتبر الحكم الاستثنائي اشبه بمدة النقاهة يمضيها المريض في الفراش للعلاج .. ولكننا نرفض ان نمضي عشرة اعوام في فراش المرض ..

اننا نفهم ان يتحد الشعب في الأزمات الجسام ، نفهم ان تؤلف جبهة وطنية في أوقات الحرب ، وان تؤلف وزارة قومية في اللحظات الحاسمة ..

ان انجلترا عندما ألفت وزارتها القومية في اثناء الحرب الماضية ، وفي اثناء الحرب الأولى ، لم تلغ احزابها ، بل كرست كل الأحزاب جهودها لكسب

الحرب.. ولم تلغ هذه الأحزاب وجودها.. ولم تطلب إلى الشعب ان يلغي عقله، ويلغي تفكيره السياسي أو تفكيره الحزبي..

وعندما قامت ثورة سنة ١٩١٩ لم يطلب احد الغاء الأحزاب اكتفاء بحزب واحد.. بل تألف الوفد..

وبقي الحزب الوطني موجوداً..

ولم يؤد بقاء الحزب الوطني على قيد الحياة إلى فشل الثورة..

بل لقد حدث في اثناء الثورة ان قامت عدة احزاب اكتسحها سعد زغلول، بغير ان يصدر قانوناً يمنع تعدد الأحزاب..

ولماذا نذهب بعيداً؟ ان حركة التحرير قامت يوم ٢٣ يوليو لتقضي على حكم الفرد، ولتنهي الطغيان والدكتاتورية، ولتعيد لهذا الشعب حياة ديمقراطية حرة، وليكون الدستور حقيقةً لا خيالاً..

اما حكم الحزب الواحد فهو نظام مغر جميل وبراق.. وبشرط ان تكون انت زعيم الحزب الواحد...

فهو المقعد الوحيد المريح في مثل هذا النظام..

وليس مريحاً ان يكون الواحد منا في مقعد زعيم من زعماء الحزب الواحد فمهما كبر نفوذ الواحد منا فلن يصل مثلاً إلى نفوذ «بريا»..

وانظر ما حدث لبريا..؟

اختلف معه الزعيم مالينكوف. اتهمه بالخيانة.. وزج به في السجن، وقدمه للمحكمة لتحكم عليه بالاعدام.

فهل سمع واحد منا دفاع بريا.؟ هل سمع واحد منا ان هناك محامياً يقدم للدفاع عن بريا..؟ هل عرف واحد منا ان هناك قضاء حقيقياً سينظر في قضية بريا..؟

وقد كان بريا احد زعماء الحزب الواحد واحد المتحمسين للحزب الواحد لأنه كان يظن انه إن بقي الحزب الواحد فسيبقى في يده الصولجان والسلطان..

فاللهم ابعد عنا نظام حكم الحزب الواحد ونظام حكم الرجل الواحد..

اللهم نجنا من نكبة الدكتاتورية وجنبنا عثرة انظمة الطغيان..

اللهم اعطنا بعد فترة الانتقال حكماً ديمقراطياً كاملاً فيه حرية وفية.. عدالة وفية مساواة وفية شعب يسجد له الحاكم ولا حاكم يسجد له الشعب...

وما ان قرأ عبد الناصر المقال حتى استشاط غضباً واتصل بمصطفى أمين وقال له؟

ـــ ولماذا لم تجعل عنوان مقالك «لا.. يا جمال عبد الناصر»؟

فقال له مصطفى أمين:

ـــ اني كنت أرد على مقال التابعي..

فقال له عبد الناصر:

ـــ ولكنك تعرف مسبقاً ان هذا هو رأيي وليس رأي التابعي وان كل كلمة كتبها التابعي سمعها مني!

فرد عليه مصطفى أمين:

ـــ نعم هذا صحيح ولكنني قلت لك ساكتب رأيي المعارض لرأيك وقد وافقت على ذلك.

فكان رد عبد الناصر:

ـــ سوف نعمل استفتاء في آخر ساعة لنرى رأي الأغلبية!

ونشر محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة وقتها استفتاء في المجلة طلب فيه من القراء ان يبدوا رأيهم في حزب واحد أو احزاب متعددة..

وقد تم نقل أوراق الاستفتاء من آخر ساعة إلى مكتب جمال عبد الناصر بمجلس الثورة ثم اعلن هيكل نتيجة الاستفتاء وهي ان اغلبية القراء تريد الحزب الواحد!

وكان تعليق مصطفى أمين على ذلك ببضعة سطور نشرها في آخر ساعة وكانت آخر عبارة فيها :

لا يصنع الطغاة إلا العبيد !

ولقد كان جمال عبد الناصر في الأيام الأولى للثورة مؤمناً بحرية الصحافة مدافعاً عنها امام معارضة شديدة من زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة لدرجة ان عبد الحكيم عامر كان من رأيه في بداية الثورة ان حل مشكلة الصحافة المصرية يتمثل في القبض على جميع الصحفيين بغير استثناء ووضعهم جميعاً في السجن الحربي لتستريح الثورة ومصر من امثالهم !

كان هذا هو رأي عبد الحكيم عامر في الصحافة ولم يكن يعرف وقتها ولكن حين اختلف مع عبد الناصر بسبب استئثاره بالسلطة وايمانه بحكم الفرد استدعى مصطفى أمين إلى مكتبه وقال له.

— انا كنت غلطان ! لقد حاربت حرية الصحافة ولكن اكبر غلطة ارتكبناها هي تأميم الصحافة واشاعة الخوف والذعر بين الصحفيين.. النتيجة اننا اصبحنا نخطئ ولا أحد يجرؤ على محاسبتنا ! ان تقييد الصحافة في رأيي هو الذي خلق منا فراعنة ! المثل الشعبي يقول :

سألوا فرعون ايه اللى فرعنك؟ قال ما لقيتش حد يردني.. !

لو وجد جمال عبد الناصر صحفياً واحداً يرده لما تحول إلى ديكتاتور ! وقد قابلت الرئيس جمال عبد الناصر وقلت له انه لا بد من أن تحكم مصر حكماً ديمقراطياً وأن تعود للصحافة حريتها وإلا فستذهب البلد في دهية !

ولقد قال عبد الناصر لمصطفى أمين ذات يوم

— اذهب وقابل كمال الدين حسين.. انه ثائر عليكم !

وحين قابله وجده ثائراً بالفعل على الصحافة المصرية وقال له :

— انكم تنشرون صور النساء الجميلات شبه عرايا فتهدمون كل ما بنيناه كلما بنينا جيلاً من الشباب رفعت الصحف والمجلات معاول الهدم!

ثم بدا جمال عبد الناصر يتأثر بهذه الأقاويل بمحاولة تغيير الصحافة وبعد ان اقال مجلس الثورة على ماهر باشا من رياسة الوزراء لأنه اجل الانتخابات قال لمصطفى أمين:

— ان المصلحة تقتضي تأجيل الانتخابات وتأجيل الحريات وتأجيل البرلمان!

وكان هذا بداية السير في الطريق الديكتاتورية بلا عودة!

بل ان هذا شجع بعض الضباط الأحرار من الصف الثاني إلى المناداة صراحة بأن تكون هناك: ديكتاتورية.. وديكتاتورية عسكرية!

كما شجع مصطفى أمين على كتابة مقاله الشهير بعنوان «لا ديكتاتورية» والذي يقول فيه:

«لا مكان في بلادنا للديكتاتورية فهي كانت دائماً. وستكون ابداً مقبرة للطغاة.. ونحن كما لا نرضى بالديكتاتورية الدينية لا نرضى بالديكتاتورية العسكرية، ونرحب كل الترحيب بما يعلنه قادة الثورة بأن حكم الدستور على الأبواب. ونبتهج كلما يخطب زعماء الثورة ويتحدثون عن أملهم في ان تعود البلاد إلى حياة نيابية صحيحة. لا طغيان فيها ولا زيف، ولا احتكار فيها ولا فساد.. فنحن نقاوم الاحتكار بانواعه. نقاوم ان يحتكر فريق من الناس الوطنية لأنفسهم. فكل ما عداهم خونة مارقون. ونقاوم ان يحتكر فريق من الناس الدين لأنفسهم، فكل من يعارضهم كفرة مارقون! ونقاوم ان يحتكر قوم الإصلاح. فلا مصلحون الا هم، ولا مفسدون الا من يخالفهم في وسائل الاصلاح..

وهذا الاحتكار هو طغيان يتسمى باسماء مختلفة. وهو نوع من الغرور يصاب به الفرد فيتصور انه وحده صاحب الحق في اصلاح الكون، وإن كل رأس يرتفع في طريقه إنما هي سهام مصوبة اليه.

انتهى العصر الذي كانت الدنيا يحكمها فيه رأي واحد أو رجل واحد أو اتجاه واحد.. فإن آلاف السنين لم تستطع ان تجمع الناس على دين واحد، وآلاف السنين لم تظهر للدنيا رجلاً واحداً يؤمن به الجميع، بل حتى الآلهة ظهر لهم من يخالفهم ومن يجادلهم، ومن يكفر بهم.. فلا مكان اليوم لآلهة.. آلهة في كل فرع من فروع الحياة آلهة للاصلاح وآلهة للإجتماع وآلهة للدين.

انما المكان يتسع لكل رأي ولكل فكر وعندما يبدأ الاحتكار تنتهي الحرية وتذوب الشخصية وتفقد الشعوب العقول الجبارة فيها.. فكان الرجل القوي الواحد لا يستريح إلا إلى عقول صغيرة حوله فهو كالشمس يكسف نوره باقي الكواكب.. ثم يجيء يوم يختفي فيه هذا العقل الكبير وتموت النجوم التي حوله.. وينهار كل شيء بعده! الفرق بين الديكتاتورية والديمقراطية ان الديمقراطية هي كل الحرية للشعب والديكتاتورية هي كل الحرية للحاكم.

ونحن نرفض حرية الحاكم.
ونريد حرية الشعب».
وشطب الرقيب المقال!

وحين حاول الأستاذ مصطفى أمين أن يقنعه بأن عبد الناصر قال له أكثر من مرة لا يريد ان يكون ديكتاتوراً ولا يصلح ان يكون ديكتاتوراً وانه في أول الثورة عقد مجلس الثورة اجتماعاً ليقرر نظام الحكم.. وجرى التصويت وكان من رأي سبعة اعضاء ان تحكم مصر ديكتاتورياً وكان من رأي عبد الناصر وخالد محيي الدين ان يكون الحكم ديمقراطياً.. وعندما اصرت الأغلبية على رأيها انسحب عبد الناصر معلناً استقالته من مجلس الثورة وذهب إلى بيته..

واضطرت اغلبية مجلس الثورة ان تذهب اليه وتبلغه انها عدلت عن رأيها ونزلت على رأيه وقبلت الحكم الديمقراطي وعندئذٍ فقط قبل عبد الناصر ان يعود إلى مجلس قيادة الثورة وبعد ان انتهى مصطفى امين من كلامه قال له موفق

حموي مدير الرقابة وهل صدقت هذا الكلام.. لو قال لي جمال عبد الناصر هذا الكلام لما صدقته.. لأنني أعرف جمال عبد الناصر جيداً!

وفي اليوم التالي اتصل البكباشي جمال عبد الناصر بمصطفى أمين في التليفون وهو يضحك ويقول: —

— قرأت مقالك عن الديكتاتورية واطمئن سوف اعيش خمسين سنة اخرى!

فقال له مصطفى امين:

— وما هي العلاقة؟

فقال عبد الناصر:

— ألم تقل في مقالك ان الديكتاتورية هي مقبرة الغزاة وان الديكتاتور سيموت وينهار كل شيء بعده..

فقال له مصطفى أمين — نعم.

فرد عليه عبد الناصر:

— اطمئن ان صحتي جيدة وسأعيش خمسين سنة اخرى واعتقد ان البلد سيحتاج إلى فترة طويلة يحكمه رجل واحد.. ثلاثين أو أربعين سنة ينظم فيها الحاكم كل شيء ويضع الأساس ويرتب الاصلاحات ويدرب معاونيه على الحكم وبعد ذلك يمكن ان يفكر في شيء اسمه الديمقراطية!

فقال له مصطفى أمين:

— معنى ذلك انك غير موافق على نشر المقال!

وكان رد عبد الناصر:

— انشره بعد خمسين سنة.

فقال له مصطفى أمين:

— بعد خمسين سنة!

فانهى عبد الناصر حديثه قائلاً:

— الحقيقة ان زملائي في مجلس الثورة ضد الديمقراطية وانا محتاج لوقت لتمهيدهم لقبول الديمقراطية.

وفي ٢٠ ديسمبر عام ١٩٥٤ التقى مصطفى أمين بعبد الناصر في منزله وتجاذبا اطراف الحديث عن الحكم والديكتاتورية والديمقراطية.

وفجأة قال عبد الناصر لمصطفى أمين:

— لقد كان عندي فكري اباظة وسألني هل أريد أن أكون ديكتاتوراً فقلت له: انني لا أصلح ديكتاتوراً ولا أصلح مطلقاً لأكون حاكماً فرداً أولاً لأنني ديمقراطي بطبعي وثانياً لأن ثورة ٢٣ يوليو ثورة ديمقراطية ولو انحرفت عن هذا الهدف لكتب لها الفشل! وثالثاً لأننا جربنا الديكتاتورية الفردية والديكتاتورية البرلمانية فكانت الكوارث وكان الفساد!

فقال مصطفى أمين لجمال عبد الناصر:

— وهل سينشره فكري اباظة.

فقال له:

— نعم سينشره في المصور.

فرد مصطفى أمين:

— وأنا أريد أن أنشره في اخبار اليوم.

فقال له عبد الناصر:

— لا داعي.. يكفي نشره في المصور.

وطلب مصطفى أمين من عبد الناصر ان يعلق عليه في الموقف السياسي وخيم عليهما فترة صمت قال بعدها عبد الناصر.

— انما لا تنشر شيئاً منه في الصفحة الأولى ولا تنشر مانشيتات!

ونشر الأستاذ مصطفى أمين تصريح جمال عبد الناصر كاملاً في مقال في الموقف السياسي بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٥٤.. كتب يقول فيه : —

«لا شك ان الحكم الديكتاتوري براق فإن الشعب الذي يركب سيارة الديكتاتور يقطع المسافة في مدة اقصر كما يقطعها فيما لو ركب سيارة الحاكم الديمقراطي. لأن السيارة الأولى سريعة كالطائرة النفاثة والسيارة الثانية بطيئة كثيرة التوقف كثيرة الضوضاء! ولكن السيارة الأولى لا بد ان تنقلب! شاهدنا ذلك في ديكتاتورية هتلر وموسوليني وتوجو وفي كل انواع الديكتاتوريات في العصر الحديث حتى ان مالينكوف نفسه يحاول اليوم ان يسترضي الشعب الروسي فيلقي للسباع الجائعة جثث امثال بريا واباكوف ولونوف وكوموف ولنجاشيف وغيرهم من الذين لم يفعلوا شيئاً سوى تنفيذ أوامر ستالين بالحكم بالحديد وبالنار.

ولكن هناك فرقاً بين الحكم الديمقراطي وحكم الفوضى. فالديكتاتورية البرلمانية اسوأ من الديكتاتورية الفردية. فنحن لا نريد برلماناً يعيد الاقطاع، ويحمي الفساد ويعيد عقارب الساعة إلى الوراء إلى ما قبل منتصف ليلة ٢٣ يوليو..

ولهذا فاننا نؤيد فكرة التمهيد لعودة الحياة الطبيعية.. لا يكفي ان يحمي الجيش هذه الفكرة، ولكن يجب ان يتولى هذه الحماية جماعة من المفكرين والمثقفين المؤمنين بالثورة الذين يستطيعون بافكارهم وآرائهم ان يدافعوا عن فلسفة الثورة بنفس القوة التي تدافع بها المدافع والبندقية.

ويخطئ من يعتقد ان ليس بين المفكرين والمثقفين من يؤمن بهذه الثورة ايمان الذين اشعلوها، وانما كل ما هنالك ان هؤلاء المفكرين لم يجدوا لهم مكاناً في الزحام، فآثر الكثير منهم ان يبقوا في ابراجهم العاجية يتفرجون.. ومن هنا حسبهم البعض من غير المؤمنين، وهم في قرارة نفوسهم من اكثر المؤمنين!

ثم هناك مسألة أخرى..

ان ثورة ١٩١٩ بدأت بأن قرر سعد زغلول ان كل مصري نظيف ولد يوم قيام

الثورة! انه لم يحاسب مصرياً واحداً نظيفاً على ما فعله قبل سنة ١٩١٩، نادى بأن الوطن غفور رحيم، ولهذا فتحت الثورة صدرها للجميع، واجتمع في صعيد واحد الفقراء والأغنياء، الفلاسفة والدهماء، الاصدقاء والاعداء، الرجعيون والمتطرفون..واستطاعت بوتقة ثورة سنة ١٩١٩ ان تظهر اغلبهم وان تجعل من كل هؤلاء شعباً واحداً وقوة واحدة.

فإذا اردنا ان ننشئ الحزب الجمهوري ينبغي ان نفتح الأبواب للجميع، ويجب ان نحاسب الناس على ما فعلوا بعد الثورة، ويجب ان نعطي لكل انسان فرصة في ان يعمل ويكافح في هذا العهد الجديد..

من هنا نبدأ..

وقال جمال عبد الناصر لمصطفى أمين:

— ان زملائي اعضاء مجلس الثورة رفضوا هذا المقال ولكني وافقت على نشره حين عرضه موفق حموي مدير الرقابة وإن من رأي زملائي عمل «فرازة» لكل من ينضم إلى الثورة.

فقال له مصطفى أمين:

— اخشى إذا انشأت الثورة حزباً بطريق «الفرازة» الا تضموا الا الاصدقاء اعضاء مجلس الثورة ومعارفهم واصحابهم.. وبذلك تعزلون انفسكم عن باقي الشعب وتؤلفون من المرفوضين حزب معارضة ضدكم.

ورد عليه عبد الناصر بقوله:

— معك حق!.. ولكن بعض زملائي يغارون من كل وجه جديد ينضم إلى الثورة.. حتى انني تعبت حتى أدخلت معنا مدنيين في الوزارة! واستمرت فكرة عزل كل الوجوه القديمة حتى اسم مستعار «اعداء الشعب» وبدا كل صاحب نفوذ يضع قائمة بأسماء خصومه ليتخلص منهم شرعياً باسم الشعب!

فكتب مصطفى أمين مقالته الشهيرة «من هم أعداء الشعب» يقول فيها:

«يطالبون الشعب اليوم بعزل اعدائه ليمنعهم من الوصول إلى مقاعد القيادة فمن هم اعداء الشعب؟

ويقولون ان اعداء الشعب هم الذين تعاونوا مع الاحتلال، والذين ثبت تآمرهم ضد الثورة، والذين تخاذلوا في معركة العدوان، والذين اثروا باستغلال نفوذهم، والذين ضربوا الفلاحين بالسياط، والذين استنزفوا دم العامل، والذين قاوموا القوانين الاشتراكية، والذين هربوا أموالهم إلى الخارج، والذين تاجروا بقوت الشعب في السوق السوداء، والذين صدرت عليهم احكام تخالف الذمة والشرف.

والحكم على انسان انه عدو الشعب هو حكم اشد قسوة من حكم الاعدام، وهو في الواقع حكم بتجريد الشخص من شرف المواطن، أي أنه لا يقل خطورة عن الحكم بالموت المدني، فعدو الشعب سيكون طبقة من المنبوذين السياسيين، الذين ليس لهم حق الاشتراك في حكم بلادهم، ولا التصويت في الإنتخابات، ولا الترشيح للوظائف العامة، ولا المساهمة في الجهاز الديمقراطي للثورة الجديدة. ويبرر هذا الاجراء العنيف ان المقصود به ليس الانتقام من اشخاص معينين. ولا عقابهم على جرائم سابقة، وانما المقصود بهذا الاجراء حماية الشعب كله من اية نكسة، فهذا اجراء اشبه بالحجر الصحي، اريد به عزل عدد صغير من المرضى من أجل صحة الملايين، وقد رضي العالم بهذا الحجر، واباح ان تحد من حرية بضعة اشخاص في سبيل وقاية مئات الملايين، ولا يجوز لنا أن نبكي على حرية هؤلاء القلائل ما دام الهدف هو حرية شعب باكمله.

ولكننا لا نوافق على فكرة الشطب الجزافي.. فقد قال البعض ان من رأيه أن نعتبر كل من نال رتبة الباشوية أو البكوية أو نال وساماً عدوا للشعب.

ونحن لا نوافق على اصدار الاحكام بالجملة.. فليس كل من نال رتبة أو نيشاناً في العهود الماضية هو عدو الشعب.. ان هناك كفاءات نالت رتباً واوسمة لأنهم قاموا بأعمال خالدة.. فهل يمكن ان نقول مثلاً ان احمد عرابي باشا من

أعداء الشعب لأنه نال رتبة الباشوية في عهد الخديوي توفيق! أو أن مصطفى كامل باشا عدو للشعب لأنه نال الباشوية من السلطان عبد الحميد.. أو أن سعد زغلول باشا عدو للشعب لأنه نال الباشوية في عهد الخديو عباس حلمي الثاني!

ولا يمكن ان نقول ان كل من نال البكوية في العهدالماضي عدو للشعب، فان الزعيم محمد فريد كان يحمل رتبة البكوية، والمصلح قاسم أمين كان يحمل البكوية..

ولا يمكن ان نقول ان كل من نال وساماً في العهد البائد كان عدوا للشعب، وان الرئيس جمال عبد الناصر نال وسام نجمة فؤاد العسكرية لأنه كان احد ابطال حرب فلسطين..

ولا يمكن ان نقول ان كل من ورث ثروة أو كون ثروة هو عدو للشعب.. ان الشرط الأول ان تكون هذه الثروة من طريق غير مشروع، أو من الاستغلال أو من الاتجار بالنفوذ، أو بالمتاجرة في السوق السوداء، ولكن هناك اطباء كونوا ثرواتهم من عرقهم، واستطاعوا ان ينالوا شهرة دولية، تمكنهم من أن يحصلوا على اضعاف هذه الثروة في أي بلد من بلاد العالم.. فلا يمكن مثلاً ان يكون الدكتور عبد الوهاب مورو أو الدكتور عبد الله الكاتب أو غيرهما من الكفاية العلمية اعداء لهذا الشعب..

ولا يمكن ان نقول ان كل ابن رجل ثري هو عدو للشعب.. ولو طبقنا هذا في جميع انحاء العالم.. لوجدنا ان كثيرين من المصلحين هم اعداء شعوبهم..

ان غاندي مثلاً ورث ثروة كبيرة، وجمع ثروة كبيرة من المحاماة. ونهرو ورث ثروة كبيرة، فقد كان والده من اغنياء الهند، وعندما كنا في يوغسلافيا قابلنا بوبوفيتش وزير خارجية يوغوسلافيا، ومن اقرب الزعماء إلى تيتو!! ان وزير الخارجية هذا هو من أكبر الاسر الارستقراطية في عهد الملكية. وكان والده من كبار الأغنياء. ومع ذلك آمن بالاشتراكية. وانضم إلى تيتو وحارب الرأسمالية. واشترك في معارك التحرير..

ورأينا في يوغوسلافيا ابن عم وزير الخارجية وهو فلاديمير بوبوفيتش وزير البلديات ، وهو الاخر من نفس الاسر الارستقراطية الغنية ، ومع ذلك لم يعتبر من اعداء الشعب بسبب هذا النسب ، بل انه اعتبر من زعماء الشعب لأنه حارب في صفوفه وعرض حياته للموت من اجل حرية يوغوسلافيا.

وقام تيتو بعزل اعداء الشعب.. وحددهم بانهم الذين تعاونوا مع الاعداء ، والذين حملوا السلاح ضد ثورة الشعب ، والذين موَّلوا الحركات الرجعية ، ولكن احداً لم يقل في يوغسلافيا ان كل من حصل بعرقه أو بجهده أو بكفايته على ثروة ، وأيد الثورة الشعبية يعتبر عدواً للشعب.

ان مصلحة الشعب فوق كل مصلحة ، وتأمين مكاسب الشعب تسبق تأمين الأفراد ، ولكننا نؤمن بان عملية الفرز يجب ان تسبق عملية العزل. وان الثورة لا يمكن ان تأخذ الناس بالشبهات ، ولا ان تضع قواعد واسعة يمكن ان تعزل بريئاً أو تدين وطنياً لا ذنب له إلا انه ورث ثروة ، أو حصل على ثروة بطريق شريف..

ونحن نعتقد كذلك انه إذا رأى قادة الشعب ان الضرورة تقضي بأن يكون الاجراء الوقائي شاملاً أن يكون هذا الاجراء لفترة محدودة تقتضيها مصلحة الشعب في بداية ثورته الثانية.. وليس هذا بالشيء الجديد على الثورة ، فقد سبق للثورة الأولى في بداية قيامها ان حرمت عدداً من السياسيين من مزاولة العمل السياسي ، ثم الغت هذا الحظر بعد ذلك بسنوات..

ولا شك انه بعد فترة ، وبعد ان يتسلم الشعب كل حقوقه ، وبعد ان يتسلح للمحافظة على هذه الحقوق ، سوف يبادر إلى السماح للذين لم تثبت عليهم أي تهمة بمزاولة الحريات التي يتمتع بها الشعب كله. مع استثناء كل من تعاونوا مع الاحتلال أو ثبت عليهم الرشوة واستغلال النفوذ.

ان هذا ليس دفاعاً عن اعداء الشعب.. انما هو دفاع عن الشعب.

يوم يصبح هذا الشعب قوياً وحراً فإنه سيكون قادراً على أن يحمي مكاسبه بنفسه . » .

وشطب الرقيب المقال .. وفشلت جهود الاستاذ مصطفى أمين في ان يبقى ولو ٣ سطور منه؟

وشطب المقال بالكامل.

فاتصل مصطفى أمين بعبد الناصر وأخبره بما حدث فقال له :

— وماذا تريد من هذا المقال؟

فرد عليه :

— اريد ان اكتب رأيي ليصل إلى المسئولين.

فقال له عبد الناصر:

— انا «المسئولين» وقد عرفت رأيك وهذا يكفي!

واصر جمال عبد الناصر على حذف المقال..

وكانت المقدمات : الاعتقالات والحراسات والمصادرات وعمليات البطش والتشريد.

وكانت النتيجة : هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ !

وقبل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ كلف الرئيس جمال عبد الناصر كل من مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل بالسفر إلى امريكا لشرح وجهة النظر المصرية وهناك التقى مصطفى أمين بجون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا الذي طمئنه بأن الحرب اصبحت لعبة قديمة ولن يجرؤ على الاقدام عليها احد ولكن هاري سيمون رئيس تحرير مجلة «النيوزويك» اكد لمصطفى أمين — بحكم ما يربطهما من صداقة قديمة — بأن الحرب قادمة لا محالة وان الاستعدادات تجري على قدم وساق للعدوان الإنجليزي والفرنسي على مصر بل ان التدريبات على الهجوم وتنفيذ خطة الحرب قاربت على الانتهاء!

وحين عاد مصطفى أمين واخبر جمال عبد الناصر بما حدث قال له :

— هل تريدني ان اصدق رئيس تحرير النيوزويك واكذب وزير خارجية امريكا؟!

ومن ناحية اخرى فقد نما إلى الاستاذ علي أمين عن طريق مصادره الصحفية خلال رحلته إلى انجلترا إلى ان هناك تدريبات مشتركة (انجليزية — فرنسية) تتم في الخفاء استعداداً للهجوم على مصر.

وحين زار مصطفى وعلي أمين جمال عبد الناصر في استراحة القناطر الخيرية ليؤكدا له هذه المعلومات قال لهما:

— المخابرات الروسية اكدت لي انه ليست هناك اية تدريبات للعدوان في مالطة أو قبرص!

والطريف انه حين قامت حرب ١٩٥٦ كان عبد الناصر يجلس مع احد السفراء الأجانب في منزله بمنشية البكري وسمع ازيز الطائرات فترك السفير وصعد فوق سطح منزله ليرى بنفسه الطائرات الانجليزية الصنع من طراز «كمبيرا» فايقن انه قد وقع في الفخ!

وقد عرض مصطفى شردي وهو بورسعيدي الأصل صور العدوان الثلاثي على مدينة بور سعيد.. ومدى بشاعة العدوان على الأهالي الآمنين العزل من السلاح.. والحقيقة ان الاستاذ مصطفى شردي من الصحفيين الذين يملكون عدسة المصور والفنان فقد اطلعني على صور التقطها بنفسه عن الجفاف والتصحر في افريقيا من اروع ما رأيت وافظع ما شاهدت عن الموت مصوراً!

فلما عرض صور العدوان على الاستاذ مصطفى أمين فلم يتوان بدوره عن عرضها على جمال عبد الناصر فأمر بتجهيز طائرة خاصة لمصطفى أمين للقيام برحلة خاصة إلى عديد من الدول لمخاطبة الرأي العام العالمي وقد اعجب عبد الناصر بشجاعة مصطفى أمين وعدم تردده في السفر بالطائرة رغم ما يكتنف ذلك من اخطار في ظل الحرب.

وقال عبد الناصر:

— الا تخشى الموت.. هذه رحلة خطيرة وربما تموت فيها..

فقال له مصطفى أمين:

— بعد كل الذين ماتوا من الشهداء هل اتردد في قبول الموت؟!

وركب مصطفى أمين الطائرة التي كان من المفروض ان تقل ٥٠ راكباً بمفرده والكراسي من حوله خالية والسماء ملبدة بغيوم الحرب وحقيبته الصغيرة مليئة بخطابات عبد الناصر إلى ملوك ورؤساء دول العالم وفجأة والطائرة فوق «قفط» بصعيد مصر هبطت الطائرة هبوطاً يكاد يكون اضطرارياً فاسرع مصطفى أمين نحو كابينة قائد الطائرة يستطلع الأمر فعرف منه ان الطائرة لا بد ان تطير على ارتفاع منخفض حتى لا تراها الاساطيل المعادية فوق سطح البحر الأحمر.

ثم فجأة والطائرة فوق عمان أو هكذا خيل لقائدها وإذا بصوت يتردد يقول: من انتم؟ يستطلع جنسية الطائرة.. وعرف قائد الطائرة انه فوق «تل ابيب» وفي لمح البصر انحرف بسرعة نحو اتجاه الأردن.

والتقى مصطفى أمين بالملك حسين ملك الأردن وسلمه رسالة عبد الناصر اليه ثم اطلعه الملك حسين على الخطة السرية العسكرية الإسرائيلية للهجوم على مصر والتي عثروا عليها في طائرة كانت تحلق فوق عمان. وقد سلم مصطفى أمين رسائله من عبد الناصر إلى كل من شكري القوتلي في سوريا والأمير فيصل ملك العراق والملك سعود الذي هدد يومها امريكا بوقف ضخ البترول!

ثم سافر بعدها مصطفى أمين إلى امريكا وعرض الصور البشعة للعدوان الثلاثي على مصر في صحف ومجلات امريكا وهدد اليهود الامريكان بالاحجام عن شراء المجلات والصحف التي تنشر صور العدوان وتعرضت بعض المجلات لهزات مالية نتيجة ذلك!

وانتهت حرب ١٩٥٦ وبعدها بسنوات وعلى وجه التحديد في عام ١٩٦٠ قال عبد الناصر لمصطفى أمين: —

— ان الناس لا تعرف قصة الرحلة الغامضة التي قمت بها انت في اثناء

العدوان.. لماذا لا تنشرها مسلسلة وتذكر تفاصيل تلك الرحلة المثيرة بشرط ان تقرأ لي بالتليفون كل مقال تكتبه قبل نشره!

وفي العاشرة من صباح كل يوم كان مصطفى أمين يعرض على عبد الناصر مقال اليوم التالي.

وكان عبد الناصر يحذف من المقالات بعض ما لا يريد نشره ويضيف معلومات يرى ان يعرفها الناس.

وبلغ من اهتمام عبد الناصر بهذه المقالات ان طلب من الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء لشئون الاعلام ان تذاع كل مقالة ثلاث مرات كل يوم. مرة في اذاعة البرنامج العام ومرة في اذاعة صوت العرب ومرة في احدى الاذاعات الموجهة.

وفجأة أمر عبد الناصر بوقف المقالات لانه وجد على مكتبه تقريراً سرياً يقول:

الهدف من هذه المقالات هو ابراز دور مصطفى امين باعتباره بطل حرب ١٩٥٦ وليس عبد الناصر!

وجلس بسبب هذا التقرير مصطفى أمين وشقيقه علي أمين ستة أشهر في منزلها بأمر عبد الناصر وراحت خلالها عدة لجان من المخابرات والنيابة الإدارية والرقابة الإدارية تحقق في مئات التهم!

وبعد ستة اشهر استدعاه عبد الناصر لمقابلته وقال له مصطفى أمين:

— كيف تسيء الظن بي في كوني اريد ان اسلب منك بطولتك في حرب العدوان الثلاثي؟!.. هل نسيت ان هذه السلسلة كانت من اقتراحك وانني كنت اقراها سلسلة يوميا قبل النشر وانك بنفسك امرت بأذاعتها ثلاث مرات في الإذاعة.

وكان رد عبد الناصر:

— انا لم اشك في هذه المقالات ولكن شكوك كلها تجمعت بعد قراءة

مقالك في «الموقف السياسي» عن «الكونغو» وادركت انك تقصد القاهرة لا الكونغو.

وارتفعت حواجب مصطفى أمين من الدهشة وفغر فاه من المفاجأة ثم قال له:

— انا لا اذكر انني كتبت شيئاً عن الكونغو إلا الاحتجاج على مصرع الزعيم الوطني لومومبا وعلى ما يفعله الاستعمار بالوطنيين الاحرار الذين يرفضون العبودية ويقاومون الطغيان.

وكان نص المقال الذي كتبه مصطفى أمين عن الكونغو يقول:

«ان القبض على لومومبا لن يكون نهاية معركة الحرية في الكونغو، بل هو بدايتها! لا يوجد قفص يكفي ليوضع في داخله شعب الكونغو باسره! وتخطئ بلجيكا ويخطئ عملاؤها إذا توهموا انهم سجنوا شعب الكونغو مع زعيمه في زنزانة واحدة! ذلك لأن قضبان اقفاص الحديد لا يمكن ان تحبس نسيم الحرية! ان هذه الانفاس قادرة على ان تقتحم الاقفاص، وتتحول إلى زئير يهز حديدها، وإلى ريح تقتلع قضبانها..!

فالحرية لا تخسر بالقبض على أحد زعمائها. فإن أعمال القمع والقبض هي الوقود الذي يشعل نار الحرية.. انها في حاجة دائماً إلى معونة الظالمين والطغاة..! فلولا الطغيان لما كسبت الحرية اكبر معاركها..! وكل ضربة يوجهها الطغيان للحرية تدفعها إلى الامام. وكل دم يراق في سبيلها يزيد لهيبها. ويقرب يوم انتصارها..!

اننا وقفنا بجوار شعب الكونغو لأننا بذلك نقف بجوار انفسنا، لأن الحرية لا تعرف حدوداً. وكل معركة للحرية في أي مكان في العالم هي معركتنا.. وكل جراح يصاب به الأحرار في افريقيا يصيبنا.. فنحن نؤمن بان قارة افريقيا يجب ان تصبح قارة الاحرار. ونؤمن بان أي نكسة للحرية في أي مكان انما تسيء إلى حريتنا وإلى استقلالنا.. ومن القاهرة ارتفعت الدعوة للحرية بكل لغات افريقيا

وبكل لهجاتها ! وكانت القاهرة دائماً معقل الأحرار الذين اضطهدهم الطغيان أو طاردهم الاستعمار.. وقد حاربنا في كل معارك الأحرار في افريقيا. وتحملنا راضين العقاب الذي انزله بنا الاستعمار ، لأننا أبينا أن نترك شعوباً في قارتنا تناضل وحدها. دون ان نقدم لها مساعدتنا. لتقف على قدميها ولتحطم المستعمرين الذين يضربونها بالسياط.. !

ان الحرية لن تموت في الكونغو.. ! لن يستطيع البلجيكيون المستعمرون ان يسكتوا صوتها.. أو أن يطفئوا لهيبها. أو أن يوقفوا تقدمها..

ان كل قبر حفره المستعمرون للأحرار دفنتهم الشعوب فيه.. !
كسروا الأقلام.. هل تكسيرها يمنع الأيدي ان تنقش صخراً؟
قطعوا الأيدي.. هل تقطيعها يمنع الأعين ان تنظر شزراً؟
اطفأوا الأعين.. هل اطفاؤها يمنع الأنفس أن تصعد زفراً؟
أخمدوا الأنفاس.. هذا جهدكم وبه منجاتنا منكم فشكراً..

ولم أكن اقصد على الاطلاق ان اتنكر خلف الكونغو لأصف الطغيان في مصر.. ».

ولم تكن المرة الوحيدة التي يكتب فيها مصطفى أمين مقالاً بريئاً ويفسر على انه يرمز من خلاله إلى النيل من عبد الناصر!

فقد ظهرت جريدة الأخبار ذات يوم والمانشيات الرئيس لها يحمل عنوان «مصرع السفاح» على سطر باللون الأحمر وفي السطر الثاني له مباشرة باللون الأسود «عبد الناصر في باكستان» بحيث يكون العنوان الرئيسي هو «مصرع السفاح عبد الناصر في باكستان» ! وقيل يومها انه كان هناك خط فاصل بين العنوانين ولكنه سقط سهواً ! .. ما هي الحقيقة هل كان مصطفى أمين متعمداً ذلك للنيل من عبد الناصر؟ !

ولقد وجهت إلى الأستاذ مصطفى أمين هذا التساؤل فكانت اجابته :

عبد الناصر مات وبالطبع من الشجاعة ان أقول عليه اليوم انه كان السفاح وانني هاجمته وكان رئيساً للجمهورية.. ولكن الواقع لم يحدث.. كل الذي حدث انه كانت هناك قضية تهم كل الناس وهي السفاح الذي احدث فزعاً للبوليس نفسه.. بعد ان اعياه البحث عنه دون جدوى! وكان هذا الموضوع مثار اهتمام الناس في كل الأوساط..

وتصادف يومها ان كان جمال عبد الناصر قد وصل في رحلته إلى باكستان فكتبنا المانشيت الأول مصرع السفاح باللون الأحمر وبعدين فيه خط تحته ثم جمال عبد الناصر في باكستان باللون الأسود ولكن الخط الفاصل وقع اثناء الطباعة فظهر العنوان كالتالي: «مصرع السفاح جمال عبد الناصر في باكستان».

وحين عاد جمال عبد الناصر قال له شقيقه الليثي عبد الناصر:

— انا حين قرأت الأخبار اغمى عليَّ!

فغضب عبد الناصر واعتقد ان الأمر مقصوداً به!

ولكن ليس معقولاً ان اكتب ذلك ثم ان الجريدة تمر على الرقابة ولا يمكن للرقيب ان يسمح بأن تصدر الجريدة بهذا العنوان.. ثم انني لست مجنوناً ان اكتب هذا وجمال عبد الناصر على قيد الحياة!

وقد أرسل لي بعدها جمال عبد الناصر هيكل.. وكنت اجري عملية جراحية في مستشفى الكاتب بالدقي.

وقال لي هيكل:

— انا معي لك رسالة من عبد الناصر!

فاعتقدت ان جمال عبد الناصر يسأل عن صحتي.. فقال لي:

— ان الرسالة هي أن مصرع مصطفى أمين سيكون في القاهرة!

وبعدها صدر قرار بتأميم أخبار اليوم!

مصطفى أمين وهيكل...

بين الصحافة والسياسة !.

في بداية عام ١٩٧٤ التقى الرئيس السادات بمصطفى أمين وتجاذبا اطراف الحديث في مسائل شتى وفجأة اطلت سيرة محمد حسنين هيكل من ثنايا الحديث والتفت السادات لمصطفى أمين وقال له :

— غريبة انه من يوم ما توليت رئاسة الجمهورية وحتى الآن لم يمدح هيكل أي وزير من وزارتي أو أحداً من رجال القصر الجمهوري أو أي صحفي من الصحفيين.. كلهم سيئون في نظره.. هيكل ليس له اصدقاء!

فرد عليه مصطفى امين قائلاً :

— كيف..؟! هل هذا معقول! انا رأيت صورة هيكل في منزل سيد مرعي.. في حجرة نومه!

ثم ظهرت الدهشة على وجه السادات وقال لمصطفى أمين :

— ولا سيد مرعي.

فقال مصطفى أمين :

— ولكن أنا اعرف ان سيد مرعي صديقه.

فرد عليه السادات قائلاً :

اسمع.. في يوم من الأيام اصدرت قراراً باقالة الفريق محمد احمد صادق وزير الحربية ورئيس الأركان.. وكان هذا بالطبع قراراً خطيراً ان أصدر قراراً باقالة وزير الحربية وقائد الجيش.. وكنت قلقاً للغاية وإذا بسيد مرعي يتصل بي بالتليفون ويقول لي :

— أنا باكلمك من الاتحاد الاشتراكي لأقول لك احنا واقفين جنبك ونؤيدك على هذا القرار وتأكد ان كل اعضاء الاتحاد الاشتراكي معك يؤيدونك.

وقال السادات لمصطفى أمين:

— وسررت جداً لأنني كنت محتاجاً لهذه الكلمة التي قالها سيد مرعي لتقوية ايماني بقراري.

ولكن بعد قليل زارني هيكل وقلت له: انا اتخذت قراراً باقالة صادق واسعدني كلمة سيد مرعي الذي اشاد بالقرار.

فانتفض هيكل وقال لي:

— هو سيد مرعي قال لك كده

— قلت له: نعم

قال هيكل: غريبة.. دا كلمني في التليفون وقال لي:

ايه الكلام الفارغ.. دا الواحد بيفكر انه لا يستمر في العمل ويقدم استقالته.

ثم قال السادات مستكملاً حديثه لمصطفى أمين:

— والحقيقة انني تضايقت جداً من سيد مرعي..

وقررت ابعاده.. فأرسلته إلى ايطاليا واصدرت قراراً بابعاده من الاتحاد الاشتراكي.

وتصادف بعد هذا الحديث بين السادات ومصطفى أمين باقل من اسبوع واحد ان وجه سيد مرعي الدعوة لمصطفى وعلي أمين وموسى صبري للعشاء في منزله.

وحكى مصطفى امين لسيد مرعي ما دار بينه وبين الرئيس السادات.

فقال سيد مرعي لمصطفى أمين:

— مش معقول.. لاننا الآن اصبحت بيننا علاقة نسب.. ابني خطب ابنته

واصبحت هناك علاقة مصاهرة وثيقة والغريب ان الرئيس السادات لم يحكِ لي عن هذا الموضوع مطلقاً !

فقال مصطفى أمين له :

— قل للرئيس السادات ان مصطفى أمين كان معي وقال لي هذا الموضوع وتحقق اذا كان هذا صحيحاً ام لا.. ويومها غضب الرئيس السادات..

اما رد فعل سيد مرعي فجاء بعد ذلك بسنوات حين قبض على هيكل في احداث سبتمبر ١٩٨١ واتصل هيكل بالتليفون في الاسكندرية بسيد مرعي يستنجد به فقال له خادمه :

— البيه نايم ومنقدرش نصحيه !

وكان ذلك بناء على أوامر سيد مرعي !!

ولقد كانت هناك علامات استفهام كثيرة في حياة هيكل الصحفية منها ادعاؤه بتغطية الحرب الكورية رغم انه لم يبقَ بها سوى ساعات والحقيقة تكمن في انه في يوم من الأيام دعت السفارة الامريكية بالقاهرة الصحف المصرية إلى ان ترسل مندوباً عنها لرحلة إلى امريكا. فاختار مصطفى أمين محمد حسنين هيكل مندوباً عن اخبار اليوم وحيث ان كل المحررين من الصحف المنافسة كانوا مسافرين من مصر إلى امريكا عن طريق نيويورك فاقترح مصطفى أمين أن تكون اخبار اليوم مختلفة عن الصحف الأخرى بالسفر عن طريق المحيط الهادي بدلاً من الاطلنطي وينزل هيكل سان فرانسسكو فاقتضى الأمر أن يسافر هيكل عن طريق طوكيو.. ونزلت الطائرة في سيول وظل بها هيكل لمدة يوم واحد ثم نقل إلى طوكيو واستأنف السفر وإذا به يقول :

— انا ذاهب إلى كوريا وقمت بتغطية الحرب الكورية !

وكوريا لم يبقَ بها إلا اقل من يوم.. ترانزيت !!

ومرة أخرى حين كان يغطي هيكل اجتماعات جامعة الدول العربية بمدينة بلودان بلبنان عاد إلى القاهرة ودخل على مصطفى أمين بمكتبه وقال له :

— سبق صحفي.. تصريحات خاصة لأخبار اليوم.

حصلت عليها من رؤساء وزراء لبنان والعراق والسعودية و.. و.. واعتقد يومها مصطفى امين ان محمد حسنين هيكل كان صادقاً فيما يقول وانه حصل لأخبار اليوم على سبق صحفي متفرد من معظم رؤساء وزراء الدول العربية ولهذا أمر مصطفى أمين بتخصيص الصفحة الأولى لهذه التصريحات الهامة.

وإذا به يفاجأ بأن وكالات الأنباء تذيع نصوص خطب رؤساء الوزراء في افتتاح الجامعة العربية في لبنان.. وهي طبق الأصل مما ادعاه هيكل بانه تفرد وتصريح خاص له شخصياً من رؤساء وزراء الدول العربية.

فقد فبرك «هذه الخطب واعدها على انه حديث معه شخصياً.

واكتشف مصطفى أمين هذا الخطأ الصحفي.. وقال:

أنا اعتبرتها فضيحة أن تخرج اخبار اليوم على الشعب صباحاً وهي تحمل تصريحات خاصة لرؤساء وزراء الدول العربية وهي في الحقيقة نصوص الخطب التي القيت في افتتاح الجامعة العربية.

وكاد ان يفصل هيكل من اخبار اليوم لولا تدخل «علي أمين» وترجع العلاقة الوثيقة بين علي أمين وهيكل إلى فترة «عزوبية» علي أمين حيث كان يقيم في شقة العائلة في الروضة بعد وفاة والدته وكان هيكل يشتري كل طلبات علي أمين في هذه الفترة بنفسه وتوطدت علاقته بعلي أمين بعدها.

ومع ذلك فقد حرص طوال حياته على انه يظهر بمظهر العظمة والابهة فقد خطب هيكل اثناء فترة عمله باخبار اليوم فتاة من اسرة عريقة هي اسرة علوي بك ثم دخل ذات يوم على مصطفى أمين في مكتبه وقال له:

— علوي بك تيمور عاوز يزورني في مكتبي وانا مكتبي صغير.. وانا عاوز يشوفني في مكتبك هل لديك مانع ان اجلس في مكتبك!!

فقال له مصطفى أمين:

— ليس لدي مانع!

ويقول الكاتب الكبير مصطفى أمين: وجاء هيكل إلى مكتبي وجلس فيه واستقبل علوي بك واعتقد انه شخصية عظيمة!

ولقد ادعى هيكل ان عبد الناصر قد زاره في مكتبه في اخباز اليوم ليحصل على نسخه من كتابه «ايران فوق بركان» الذي اصدره قبل الثورة والحقيقة ان جمال عبد الناصر لم يزر اخبار اليوم إلا بعد الثورة وكان سبب الزيارة هو حضور مؤتمر صحفي لقادة الثورة مع الصحفيين الأجانب.. وحضر المؤتمر عبد الناصر ومعه كل زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة.

كما ادعى انه كان موفداً من قبل جريدة اخبار اليوم لتغطية انتخابات نادي الضباط قبيل الثورة والحقيقة ان الذي كان مكلفاً بهذه المهمة هو المحرر العسكري لأخبار اليوم وقتها جلال ندا وهو احد الضباط الذين كان لهم دور في حرب فلسطين حيث جرح هناك.

وقد سألت الكاتب مصطفى أمين: هل حقيقة انك ذهبت مع هيكل إلى مكتب «هنري بايرود» السفير الامريكي في مصر وقام هيكل بالهاء السفير حتى استطاعت ان تلتقط نص برقية سرية وردت من واشنطن كانت موجودة «على مكتبه»؟! هيكل يقول ليس صحيحاً وان السفيرالامريكي وكان في الأصل جنرالاً في الجيش الامريكي لم يكن على هذه الدرجة من السذاجة والبلاهة؟!

— وكان رد مصطفى أمين:

— الواقع ان هيكل كذاب.. وهذه الواقعة كما ذكرتها صحيحة مائة في المائة وقلتها لجمال عبد الناصر.. والواقع انها حدثت مائة في المائة.

قد يدعي هيكل بعد وفاة عبد الناصر انها غير صحيحة ولكن قلتها لعبد الناصر حقيقة.

* * *

حدث ذات يوم ان كان الرئيس جمال عبد الناصر مجتمعاً بمنزله بمنشية البكري بكل من مصطفى وعلي أمين وهيكل وفجأة قال هيكل لعبد الناصر:

— اما يا ريس انا امبارح اتعشيت عشاء ملكيا..

فاعتدل عبد الناصر في جلسته وقال له في ذهول:

— عشاء ملكي في القاهرة! فين؟!

فرد هيكل: عند سعد فخري أبو النور.

فقال له عبد الناصر.

— وايه العشاء الملكي دا.

فرد هيكل — اكلنا «فيزن».

فقال عبد الناصر: ويطلع ايه ال «فيزن» دا؟!

فقال هيكل — «الفيزن» طائر يأتي بالطائرة مطهياً من محل «مكسيم» في باريس. واكلنا ايضاً «لانجسوت».

فتطلع اليه عبد الناصر وقال له:

— ويطلع ايه ال «لانجسوت» دا كمان.

— دا الاستاكوزا يا ريس.

فقال له عبد الناصر: ايوه انا عارف الاستاكوزا! انما «الفيزن» دا لا اعرفه!

ثم استطرد هيكل قائلاً: اكلنا في اطباق ذهب.. سكاكين ذهب.. وشوك ذهب! فانتفض جمال عبد الناصر من كرسيه واتجه نحو مكتبه الذي يوجد في نفس الحجرة التي كانوا جالسين فيها ثم امسك بالقلم وقال لهيكل اسمه ايه بتاع «الفيزن»!

فقال له هيكل: اسمه سعد فخري ابو النور!

فعاد عبد الناصر يسأله

— ابوه اسمه ايه؟!.

— ابوه مات واسمه فخري ابو النور!

— واخواته اساهم ايه؟!

— موريس فخري ابو النور ومنير فخري ابو النور.

وفي اليوم التالي صدرت الصحف وفي صفحاتها الأولى هذا الخبر:

صدر امر بالقبض على سعد فخري ابو النور ووضع عائلته كلها تحت الحراسة!!

ولقد كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه «بين الصحافة والسياسة» يدعي فيه ان الأستاذ مصطفى أمين اعترف اعترافاً كاملاً من خلال وثيقة قدمها اليه عبد الناصر حيث يقول:

«في مساء يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٥ كنت مدعوا إلى العشاء مع جمال عبد الناصر في استراحة المعمورة بالأسكندرية وخرجنا بعد العشاء نتمشى على شاطىء البحر ونتحدث طويلاً وبعيداً عن كل شيء.

وفجأة قال لي الرئيس:

على فكرة سوف اعطيك نسخة من خطاب بعث به مصطفى أمين الي».

سوف تذهل من قراءته فهو اعتراف كامل...

وسألته عما يقصده «باعتراف كامل» وقال انه خطاب بخط يد مصطفى أمين من ستين صفحة ثم اضاف «لا اظنك تستطيع ان تقول ان ضغطاً وقع عليه من أي نوع لكي يكتب خطاب من ستين صفحة. بالضبط يمكن لاحد ان يكتب صفحة أو صفحتين اما ان يكتب بالضغط ما يكاد ان يكون كتاباً كاملاً.. ويتفرغ اربعة أو خمسة ايام فهذا مستحيل».

ولكن ما هو نص هذا الاعتراف الكامل؟! وما هي حقيقته؟!

ان النص الذي قدمه عبد الناصر إلى هيكل يقول بالحرف الواحد:

«سيادة الرئيس جمال عبد الناصر..

انني اشعر أنني اسأت إليك (!!) وانني لم اعد جديراً بالثقة التي وضعتها

في ، وقد تصورت دائماً انني قادر ان انتزع معلومات هامة لبلادي ، ولقد سبق انني جئت اليك باكبر الاسرار واخطرها من صلاتي العديدة ، بالامريكيين من رجال السفارة الامريكية والمخابرات الامريكية.

ثم حدث في الشهور الأخيرة ان قضت كثرة اعمالك ومهام الدولة ان يصعب هذا الاتصال وبذلك لم اعد قادراً على ان استأذنك فيما اقول «باسمك» أو عن «لسانك» أو منسوباً اليك.

ولقد سبق ان قلت لسيادتك انني «استعمل اسمك» في احاديثي ، وانك إذا رأيت ان المصلحة في ان تكذبني وتكذب كل صلة بي فإنني مستعد ان اتحمل بشجاعة تبعة هذا التكذيب.

حدث انني شعرت اني اسأت اليك بنسب احاديثي اليك بغير استئذانك وبغير علمك.. ثم زاد شعوري ، بالأمس عندما رأيت في الاجراء الذي اتخذ ضدي انك ترى انني انحرفت عن الطريق الذي تصورت اني اخدم به وطني..

لقد وجدت ان خير طريقة اكفر بها عن خطأي ان اكتب اليك معدداً المرات التي ذكرت فيها «اسمك» ونسبت فيها اليك «افكاراً» وآراء معينة معتمداً على انني استعمل هذه الطريقة في الدردشة لأحصل على معلومات تفيد بلادي كما فعلت قبل ذلك مرات في المعلومات الخطيرة التي حصلت عليها من هذه المصادر وقدمتها اليك منذ قيام الثورة إلى اليوم.

ان الذي دفعني إلى الكتابة اليك في هذه الموضوع هو ما علمته من ان الدردشة التي كنت اتحدث بها إلى مستر «بروس أوديل» كان يكتبها في تقارير متوهماً انها تعبر عن رأيك في هذه الأحاديث ، وانني على استعداد ان اتحمل ما ترون ولو كان ثمن ذلك التضحية برأسي إذا كانت هذه هي الوسيلة لاصلاح ما افسدت أو ما قد اكون اسأت به اليك في هذه الاحاديث!

ففي حديثي معه يوم الأربعاء ٧ يوليو سنة ١٩٦٥ قلت له عندما تحدثنا عن

حادث سقوط طائرة انتينوف على بعد ١١ كيلو من السويس ان جميع ركابها قد لقوا حتفهم فيما عدا ضابط روسي تمكن من النجاة.

وان ثمن الطائرة يبلغ حوالي مليون جنيه وان الضابط الروسي الذي نجا رفض التحدث مع السلطات المصرية وتوجه إلى السفارة الروسية.

وهذه الطائرة هي التي اذاعت السلطات المصرية بلاغاً رسمياً عن سقوطها ووفاة كل من بها.

عندما تحدث معي مستر بروس عن اليمن وعن ان تأخير القوات المصرية في الجلاء عنها يؤدي إلى عدم تجديد المعونة، قلت له على «لسانك» ان الفريق أول مرتجى قائد اليمن ابدى ان عملية تطهير الجنوب في جبال اليمن من المتمردين يلزم لها عام كامل، والرئيس يعتبر فترة العام فترة طويلة جداً.

وعندما جري الحديث عن ازمة محمد احمد النعمان رئيس وزراء اليمن السابق قلت على «لسانك» ان النعمان يريد ان يكون شيئاً كبيراً على حساب الجمهورية العربية، وانه مصر على تنحية الرئيس السلال، لكن الرئيس مصر على بقاء السلال لانه يثق فيه ولا يثق في النعمان.

وتحدثنا عن موقف السعودية من مصر، قلت ان «الرئيس يفكر في شن حملة صحفية ضد السعودية تبدأ في الصحف اللبنانية ثم تنقلها الصحف العربية، وقال مستر بروس ان هذه الحملة بدأت فعلاً في صباح يوم «الحديث».

وعندما جرى حديثي معه عن الرئيس بن بيللا قلت على لسانك ان بومدين كان على عداء مع ثلاثة من مستشاري بن بيللا هم لطف الله سليمان وهو شيوعي مصري، وهنري كوربيل وهو مليونير يهودي كان زعيم الحركة الشيوعية في مصر عام ١٩٤٦ وسكرتير تروتسكي.

وجرى حديث عن «البغدادي» فقلت على «لسانك» ان البغدادي يعتقد انه إذا اتى إلى الحكم فسوف يحرق، اما إذا ظل بعيداً عنه وجرى انقلاب فهو يعتقد ان القادة الجدد سيسندون له السلطة.

وان الرئيس سوف لا يترك الحكم ، وانه ولو حدث انقلاب فإن البغدادي سوف يكون في نفس القارب الذي فيه الرئيس.

وجرى حديثي عن الحصار فقلت ان «الرئيس» يريد الخروج من هذا الحصار وان الزعماء العرب والافريقيين غضبوا لأن الرئيس اجتمع بسوكارنو وايوب خان وشواين لاي بمفرده دون ان يدعوهم للاشتراك في مباحثاته.

وجرى حديثي عن الحالة في العراق فقلت على «لسانك» ان الحالة في العراق سيئة وان أمين هويدي الغى اجازته ، وان ١٢ وزيراً ناصرياً سيستقيلون ، وانه يخشى ان يحدث في العراق ما حدث في الجزائر ، وان «الرئيس» يفكر في استدعاء القوات المصرية الموجودة في العراق.

وجرى حديث عن الملك حسين فقلت على «لسانك» انك تلقيت معلومات تؤكد ان هناك عناصر طلبت من الملك حسين ان يقوم بتغيير نظام وراثة العرش ، فيجعل اخاه ولياً للعهد حتى إذا حدث انقلاب في العراق فلن يقبل العراقيون ملكاً امه انجليزية ، وان حسين يطمع في ان يخلف نظام الحكم في سوريا.

وجرى حديث عن الموقف العربي فقلت ان «الرئيس» يعتقد ان هناك مخططاً بريطانياً يهدف إلى عزل مصر عن بقية العالم العربي ، كما جاء في مشروع الهلال الخصيب ، والمغرب الكبير بجانب ان السودان في الجنوب قد ضاع وبذلك تكتمل حلقة عزل مصر ، وان «الرئيس» قلق على الحالة في افريقيا كلها.

وتحدث بروس عن خالد محيي الدين وسلمني مجلة لبنانية نشرت مقالاً مطولاً حول ميول خالد محيي الدين الشيوعية وقال بروس انه يعتقد ان نهاية خالد محيي الدين قد قربت.

ولقد اعطاني مستر بروس مقالاً نشر في جريدة الصفاء ضد خالد محيي الدين وعن اتصاله بالصين فلم أرَ ان أرسل لسيادتكم المجلة لأنني اعلم انها جريدة للغرب.

واذكر جلسة اخرى تحدثت فيها عن مواضيع اخرى من بينها صفقة القمح الروسي وقلت بلسان «سيادتكم» انه برغم ان الصفقة لم تكن كبيرة إلا انكم امرتم بالاشادة بها ، وانكم قمتم بالاتفاق بانفسكم على هذه الصفقة مع الاتحاد السوفيتي برغم ان السفير الروسي في القاهرة والسفارة الروسية نفسها كانت ترى انه من الصعب ان تحصل مصر على كمية من هذا القمح في الظروف الحاضرة وإن الولايات المتحدة تقوم بضغط شديد على البلاد الموردة للقمح لتمنع ارسال قمح بالثمن إلى مصر.

وتحدثت معه بشأن انقلاب الجزائر ، وقلت له «بلسانك» انكم كنتم تتوقعون قيام هذا الانقلاب منذ عامين وطالما حاولتم ان تتدخلواوتتوسطوا لتوقفوا الخلافات بين زعماء الجزائر.

وان الرئيس «في الأسبوع الماضي قال ان الانقلاب كان مفاجأة له. وقلت على «لسانكم» انكم قلتم لبوتفليقة انكم لا تسمحون باستعمال كلمة الخيانة ضد بن بيللا.

وان «الرئيس» طلب من علي صبري ان يعلن في البرلمان ان مصر تأكدت من انه ليس هناك يد اجنبية وراء انقلاب الجزائر.

وذكرت له «بلسانكم» كيف ان خالد محيي الدين اتصل بكم وطلب السماح بنشر خبر بان السفير الامريكي في الجزائر نصح الزعماء الجزائرين باعدام بن بيللا وان «سيادتكم» رفضتم ذلك.

وقلت عن «لسانكم» ان العلاقات بينكم وبين عبد الحكيم عامر قوية جداً وانكم كالأخوة ، وانه لا يمكن ان ينقلب عبد الحكيم عامر على الرئيس وانهم اشبه باسرة واحدة وإن كل الإشاعات التي تذاع عن خلافات بينكم وبين عامر كاذبة لا أساس لها من الصحة.

وسألني بروس هل «الرئيس» قلق؟ فقلت قلق كثيراً على الحالة في المنطقة كلها.

وإن الناس في مصر فوجئت «بانقلاب الجزائر» لأنها كانت تتوقع ان يكون الانقلاب في السعودية أو في تونس أو في المغرب أو في ليبيا.

وانه عندما قابل «الرئيس» النعمان رئيس وزراء اليمن قدمت له شيكولاتة فيها بخت وان «الرئيس» فتح شيكولاتته فوجد فيها (عدو عاقل خير من صديق جاهل وورقة شيكولاتة النعمان فيها (بالصبر تنال المنى) وانه عندما عاد النعمان إلى صنعاء اسرع اليه المشايخ يسألونه عن النقود التي أخذها من القاهرة.

وقد «جرى» في هذا الحديث كلام عن رغبتي في ان احصل من اخبار اليوم على اجازة طويلة وانني اتمنى اجازة سنة على الأقل وانني غير متفائل من وضع الصحافة بعد خروج الشيوعيين منها، وأتمنى ان اخرج من الصحافة بعد خروج الشيوعيين، وان اعمل مراسلاً متجولاً.

وقلت انني اتمنى ان احصل على موافقة «الرئيس» على ذلك، فقال ان هذا يعتبر خسارة، وانني خدمت العلاقات الطبية بين امريكا ومصر، وقال ان المهم هو سعادتي فقلت ان سعادتي هي ان اسافر في اجازة طويلة.

وجرى حديث عن الوضع الداخلي فقلت ان سيادتكم مهتمون بتقوية الاتحاد الاشتراكي ومهتمون بالوزارة الجديدة، وان المرشح لرئاسة الوزراء هو زكريا محيي الدين.

وجرى حديثي عن الشيوعيين في الصحف فقلت له على «لسان» سيادتكم انكم «اتصلتم» بخالد محيي الدين وتكلمت «سيادتك» معه عن استفحال الشيوعيين في الصحف ووضع حد له.

ثم قلت ان «بغدادي» يصلح لرياسة الوزارة وان سيادتكم «ترون» ان بغدادي يريد ان يكون ملكاً، وان البغدادي استأذن في دعوة عدد من الضباط إلى بيته وانهم كانوا يتصورون انه سيحدث لهم ما حدث في مذبحة المماليك في القلعة وانهم كانوا يضحكون ويقولون هذا كنكتة.

وان الرئيس «لو شاء ان لا يحضر احد من هؤلاء الضباط هذه الدعوة لما ذهب واحد منهم.»

وجرى حديث عن تغيير سفير الاتحاد السوفيتي وان السفير الجديد له علاقات طيبة مع زعماء الاتحاد السوفيتي الجدد بينما السفير القديم كانت علاقته طيبة مع «خروشوف» فقط وإن هذا التغيير في مصلحة الجمهورية العربية المتحدة لأن السفير الجديد يتمتع بثقة الحكام الجدد وانه بهذا لا يحدث أي تأخير في اجابة طلبات الجمهورية العربية من الاتحاد السوفيتي.

وفي اجتماع قبل ذلك باسبوعين عرض على اثناء الحديث ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة الانجليزية وفيها ان انفجاراً حدث في مدمرة مصرية، وان عدداً من ضباط البحرية المعارضين «لناصر» هم الذين قاموا بهذا التدمير انتقاماً منه، وإن هناك ثورة في عدد من البوارج المصرية، وإن حوادث تخريب حصلت في بوارج وسفن اخرى تابعة للاسطول المصري.

وقرأت هذه الورقة واعدتها له.. وقلت له في اثناء روايتي عن احاديثي مع «سيادتكم» انك حدثتني بحزن بسبب انفجار في المدمرة القاهرة، وان هذا الانفجار حدث في الاسكندرية وكان تعليقه ان هذا غير صحيح، لأنه لو كان هذا الانفجار حدث في الاسكندرية لعرفوا بذلك.

وتحدثنا عن زيارة الأستاذ محمد أحمد محجوب لسيادتكم وان محجوب قال لكم انه متضايق لتغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية، لأن جريدة أخبار اليوم صادرتها الحكومة السودانية لأن فيها اتجاهات شيوعية.. وان الحكومة السودانية احتجت في السفارة المصرية بالسودان.

وان «الرئيس» قال انه لا يوافق على تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية. وان محجوب قال للرئيس انه يخاف من ان تؤثر الآراء الشيوعية المنشورة بالصحف المصرية على الشعب السوداني، وانه يخشى لو عين «سر الختم» سفيراً في القاهرة لاكله الشيوعيون.

ثم اطلعني مستر بروس على مذكرة مكتوبة باللغة الانجليزية على الآلة الكاتبة وفيها ان «الشيوعية تغلغت في الجيش المصري» وان ٧٠ في المائة من الجيش اما نصير للشيوعية أو تحت «قيادات» شيوعية. وان الشيوعيين وصلوا إلى رتبة كولونيل.

فقلت له ان المعلومات التي عندي هي انه اكتشفت خلايا قليلة شيوعية في بعض وحدات الجيش وانه قبض عليها، وانني سمعت هذه المعلومات من «الرئيس» شخصياً. فهز رأسه واخرج «لسانه» دهشة من كذب المعلومات التي في هذه المذكرة التي كانت معي.

وقد حدث قبل ذلك باسبوع ان قلت لمستر بروس «ان المشير عامر قال امام الرئيس وأمامي» وأمام علي أمين انه ليس في الجيش شيوعيين اطلاقاً، ويجب ان تعلموا ذلك جيداً».

وفي هذه المقابلة معه عن مقابلتكم لعلي أمين وعن انه سيعمل لتحسين العلاقات بينكم وبين لندن. ولكن لم اخبره عن الطريقة المعينة التي تم الاتفاق عليها بينكم وبين علي أمين بشأن طريقة المراسلة وهي ان يكتب رسالة لسيادتكم عن طريف هيكل.

بل رأيت أن الاسلم ان اذكر ان الرسائل سترسل لكم شخصياً أو للأستاذ سامي شرف، وقلت انكم طلبتم اليه ان يعطي رسائله مقفولة إلى السفير الذي سيرسلها لكم أو لسامي شرف.

وان «الرئيس» قال لعلي أمين انكم تعطون الشيوعيين في الصحافة اهمية اكبر مما لهم. وانهم في الواقع الآن اضعف مما كانوا عندما خرجوا من المعتقل، وانهم منقسمون فيما بينهم ويتكالبون على المناصب اكثر من اهتمامهم بنشر الشيوعية.

وجرى حديث مع بروس عما تقوم به المخابرات الأمريكية في المنطقة، وذكرت على «لسانكم» انكم تعتقدون ان المخابرات الامريكية تقوم بنشاط ضد مصر في

كل المنطقة وانها هي التي اسقطت الناصرية في انتخابات ليبيا، واسقطت الناصرية في انتخابات السودان، وانها تسيطر على جيش الملك فيصل في السعودية، وانها اقامت حصاراً حول مصر، وانها تسيطر على الحكم في تونس وانها هي التي اقامت الحصار حولنا من السعودية ومن ليبيا ومن السودان ومن المغرب ومن تونس.

وتحدثت اليه عن حضور الرئيس عارف إلى القاهرة وان «الرئيس» كلف ١٠ اطباء لفحصه وانهم يعتقدون انه مريض بالسرطان وان من رأي الأطباء ان يجري الدكتور «تانر» هذه العملية الخطيرة. وانني عندما رأيت «عارف» في القصر الجمهوري لاحظت انه مريض فعلاً وان هذا هو السبب في زيارة عارف.

وقبل ذلك باسبوع اجتمعت مع بروس وجرى حديثي عن اخراج حلمي سلام من الجمهورية وقلت ان السبب ان حلمي سلام نشر كلاماً على لسان «سيادتكم» عن مقابلتكم لما كلوي مندوب رئيس جمهورية امريكا وكيف انه هدد بقطع المعونة «وانكم» قلتم له اننا لا نريد معونة، وأن «سيادتكم» غضبت ان يروى على «لسانكم» موقف بطولي لم يحدث.

وجرى حديثي عن السد العالي وتحدثت على «لسان» سيادتكم باننا باحثنا الاتحاد السوفيتي لاختصار المدة.

وتحدثنا عن موقف موسى صبري في اخبار اليوم وان سبب وقفه هو ان «الرئيس» رأى انه كان عليه ان يمتثل للأوامر ولا يتحداها.

وجرى حديث بخصوص شراء اسلحة من روسيا وقلت له على «لسان» سيادتكم انكم طلبتم من المشير عبد الحكيم عامر تخفيف نفقات الجيش لأن البلد تواجه صعوبات «وانكم ذكرتم» ان هناك بعثة ستسافر لشراء اسلحة من الاتحاد السوفيتي وانها سافرت بغرض حضور احتفالات الذكرى العشرين في موسكو وكان ذلك ايضاحاً لموقفنا.

واننا دبرنا انفسنا على اساس ان لا نأخذ معونة من امريكا وان الاتحاد

السوفيتي سوف يعطينا ما نحتاجه من اسلحة ، بأقل من قيمتها نتيجة لموقف امريكا منا.

وقبل ذلك باسبوع اجتمعت ببروس وقلت له اننا «سنرسل» علماء إلى الصين على «لسان سيادتكم» واننا سوف نصنع القنبلة الذرية ، وانه تم الاتفاق على ذلك في زيارة شواين لاي.

وجرى حديث عن معونة القمح من امريكا وادعاء الولايات المتحدة باننا لم نطلب منها قمحاً ، وقلت على «لسان سيادتكم» انكم تعمدتم في خطابكم ان تقولوا اننا طلبنا قمحاً من الولايات المتحدة ، لان مسئولاً امريكياً صرح في الولايات المتحدة بان مصر تطلب قمحاً ولهذا لم تعطها امريكا ، وان الرئيس اراد ان يقطع الحجة على هذه الدعوى.

وحدث في احدى المرات ان سألني بروس ماذا يحدث إذا اصيب الرئيس جمال عبد الناصر في حادث فقلت له انه إذا حدث شيء من هذا للرئيس عبد الناصر فسوف تتحول مصر مباشرة إلى بلد شيوعي ، بل انني اخشى ان المنطقة كلها سوف تتحول إلى الشيوعية ، لأن عبد الناصر يمثل الحاجز امام البلاد العربية الذي يمنع الشيوعية ، فقال انه سمع انه يوجد في الجيش شخصيات قوية يمكنها ان تقود البلاد في حالة اختفاء جمال عبد الناصر ، فسألته عن اسماء هذه الشخصيات التي يقول عنها فلم يذكر اسماً واحداً.

والغريب انه عاد في مقابلة بعد ذلك باسبوعين أو ثلاث ، وعاد يفتح الموضوع ويقول انه لا يفهم كيف ان اختفاء جمال عبد الناصر من الميدان سوف يؤدي إلى ان تقع البلاد العربية في الشيوعية.

فقلت له انه إذا كان اختفاء جمال عبد الناصر نتيجة لحادث اغتيال حتى لو كان القاتل مصري ، وهذا ما استبعده ، فإن المصريين سيعتبرون ان الامريكيين أو الغرب أو اسرائيل هي التي دبرت هذا الحادث.

وسوف تكون النتيجة الأولى حدوث مذبحة في كل المنطقة ضد الامريكيين

والغربيين كلهم ، وان الذي اعلمه من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً انه الف جهازاً سرياً تحت الأرض مهمته ان يقوم بالانتقام في حالة حدوث مثل هذا الحادث أو ما يشابهه .. الذي يحدث انه ستقوم المذبحة أولاً ، ثم تجيء الفوضى .

وفي رأيي ان القوى الشيوعية المختفية والمتفرقة ظاهرياً سوف تتجمع وستحدث انقلابات شيوعية في كل البلاد العربية .

وسألني بروس هل اعرف من هو رئيس هذا الجهاز السري المشرف على حوادث الاغتيالات فقلت له انني لا اعرفه ، والمعلومات التي لدي من الرئيس أن احداً من رجاله لا يعرف اسماء هؤلاء الأشخاص ، وانني حاولت ان اعرف « من الرئيس » اسم هذا الشخص فلم استطع .

وقد قال لي « الرئيس » مرة ان هذا الشخص ليس وزيراً وليس ظاهراً ولا يعرفه احد حتى ولا نواب رئيس الجمهورية .

فقال بروس معنى هذا ان هذا الرجل هو الذي سيخلف جمال عبد الناصر إذا حدث له شيء .

فقلت له ان الذي علمته من الرئيس ان مهمة هذا الشخص هي قيادة هذه العملية السرية في المنطقة كلها في حالة حدوث أي اغتيال للرئيس جمال عبد الناصر .

فقال بروس انه يهمه كثيراً ان اعرف اسم هذا الشخص .. فقلت انني اعتقد ان هذا صعب جداً .

وحدث مرة ان سألني — ولا أذكر هل كان قبل هذا الحديث أو بعده ان تحدث بروس عن كمال الدين حسين وعن ان الاخوان المسلمين يعتبرونه الزعيم المنتظر .

فقلت له ان الذي اعرفه ان كمال الدين حسين متعصب دينياً ولكن ليس له أي قيمة شعبية .

وقال بروس في احد الاجتماعات انه تلقى معلومات بان علي صبري شيوعي وبانه هو الذي يتجه بمصر إلى الشيوعية.

فقلت له ان الذي اعلمه ان علي صبري ليس له اية سياسة خاصة به ، وانه لا يمكن ان تكون له أي اتصالات بالشيوعية بغير علم الرئيس جمال عبد الناصر وأن «الرئيس» صحبه لأنه يعرف كل تفاصيل مسائل الوزارات منذ أن كان يعمل مديراً لمكتبه.

وقال لي بروس انه علم بأن الرئيس جمال عبد الناصر قرب له في المدة الأخيرة صلاح دسوقي ، وانه اصبح يعتمد عليه في المسائل الخارجية ، وانه يثق به في الجهاز ، وانه اختاره في عدة عمليات سياسية وان هناك أخباراً تقول انه الرجل القادم.

وحدثني بروس عن الحملات التي تشنها الصحافة المصرية على امريكا وانها تدل على سياسة معينة واتجاه.

فقلت له ان هذه المقالات ليست موجهة ضد امريكا وانها للاستهلاك المحلي. وكان هذا تعقيباً على حديث سابق. فقد اثار بروس لهجة الصحف المصرية وقال انها عدائية وضد امريكا وان المقالات تترجم وتحلل وتصل إلى نتيجة بان مصر اتجهت إلى روسيا وان هذا سيمنع أي امل في المعونة.

وحدث ان أشار بروس إلى مقال مناهض لامريكا نشر في صفحة ٢ بجريدة الجمهورية يوم ٧ / ٦ وطلب مني ان اتحرى عن كاتب هذا المقال وكيفية وصول المقال إلى الجريدة لأنه يعتقد ان هذا المقال في صيغته الأصلية ليس صادراً عن قلم مصري ، ولكن مكتوب بقلم سوفيتي ، وهو يريد ان يتوصل إلى معرفة من من السوفيت على اتصال بجريدة الجمهورية ، وان هذا قد يكون احد رجال المخابرات السوفيتية في مصر.

واطلعني بروس على صورة تقرير عن القبض على ابن علي صبري وان البوليس

ضربه كما يضرب الجستابو الضحايا. فأنا قلت ان خبر القبض صحيح وان شخصيته لم تكن معروفة للبوليس.. وان عسكري البوليس عوقب.

وجاء ذكر قضية الاستيراد المتهم فيها صهر علي صبري، وكيف ان السيد مصطفى الهلباوي كتب مذكرة يطعن فيها في حكم المحكمة.

وان حامد محمود مدير مكتب رئيس الوزراء طلب منه ان يعدل هذه المذكرة وان سلطات حامد محمود كبيرة وان الوزراء كانوا يجدون من الاسهل ان يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلة حامد محمود.

واحب يا سيادة الرئيس ان أروي لكم بامانة تامة كيف بدأت علاقتي بالامريكيين فني سنة ١٩٣٥ عين والدي وزيراً مفوضاً في واشنطن وسافرت معه واقمت بالسفارة المصرية في واشنطن.

وكنت أرغب في ان ادخل كلية لدراسة الصحافة. ولكن والدي كان يرفض ان أعمل بالصحافة واصر على ان ادرس العلوم السياسية.

ودخلت جامعة جورج تاون في مدينة واشنطن سنة ١٩٣٥ في كلية العلوم السياسية حيث حصلت على ماجستير في العلوم السياسية عام ١٩٣٨ وهذه الكلية هي المدرسة التي تخرج فيها اغلب رجال السلك السياسي في امريكا والذين يتسولون وظائف وزارة الخارجية الصغيرة.

وفي اثناء وجودي في واشنطن كانت السفارة المصرية تقيم حفلات يحضرها شبان موظفي الخارجية، وكنت ادعى إلى جميع الحفلات التي يقيمها السفراء الأجانب في واشنطن. فقد كان اسمي مكتوباً في قائمة الدبلوماسيين في مدينة واشنطن باعتباري ابن السفير المصري.

ويذكر الأستاذ مصطفى أمين في اعترافه:

كنت على اتصال يومي «بسيادتكم». وكنت ابلغك تفصيلياً بكل مقابلاتي مع الرجال الامريكيين الذين اتصلت بهم، وكل ما كنت احصل عليه من انباء

ومعلومات واسرار بحيث كنا نعرف أولاً بأول كل الأنباء التي يهمنا ان نعلم بها ، سواء ما يجري في امريكا أو ما يجري في المنطقة العربية.. وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة أو ابلاغهم مسائل معينة.

وكان الاستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني ان احصل على معلومات معينة من اصدقائي الامريكيين، واعتقد انني كنت احصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصيبة مختلفة.

وحدث بعد تعيين الأستاذ خالد محي الدين رئيساً لمجلس ادارة مؤسسة اخبار اليوم ان قررت ايقاف اتصالي بأي امريكي وسألت الأستاذ سامي شرف في ذلك فطلب إلى الاستمرار كما أنا، ثم حدث ان حصلت على بضعة اخبار هامة من محادثاتي مع بروس أوديل، فابلغها إلى سيادتكم شخصياً، وابلغها إلى الأستاذ سامي شرف أو إلى الدكتور عبد القادر حاتم.

واذكر ان أوديل طلب مني ان ابلغ الرئيس جمال عبد الناصر ما يأتي :

١ — ان الحكومة الامريكية قررت ان لا تدفع لمصر سنتاً واحداً من المعونة إلا إذا سحبت كل قواتها من اليمن، وإلا اذا توقفت عن مساعدة الكونغو، وإلا إذا هادنت اسرائيل.

ولم ابلغ سيادتكم هذا التهديد، ثم عاد وسألني هل ابلغت الرئيس ما قلته، فكذبت عليه وقلت «نعم».

٢ — ان الحكومة الامريكية قررت انتهاج سياسة القوة والحزم، قاصدة من ذلك «تخويف» جمال عبد الناصر واجباره على اتباع السياسة التي تتلاءم مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة.

٣ — اشعار الرئيس جمال عبد الناصر دائماً بأن شخصية جونسون عنيفة غير مرنة وتتجه إلى الإندفاع واستعمال القوة لتنفيذ رغباته. ثم أراد ان يؤكد هذا المعنى فارسل لي كتاباً الفه مستر هوايت عن الرئيس جونسون وطلب مني ان اعطي هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر.

٤ ـ محاولة الوقيعة بين مصر والاتحاد السوفيتي، فقد اعطاني عدة مرات مقالات نشرت في عدة صحف شيوعية وسوفيتية منها ما يمس مصر وطلب مني أرسالها للرئيس جمال عبد الناصر ولم أرسل لسيادتكم هذه المقالات وكذبت عليه وقلت انني ابلغتها لسيادتكم «تليفونياً».

٥ ـ محاولة الايقاع بين مصر والدول العربية، واذكر في هذا المجال ما قاله من ان الملك فيصل صرح بان اليمن ستكون مقبرة للرئيس جمال عبد الناصر.

٦ الاشعار دائماً بعجز مصر المالي، فقد طلب مني ان «ابلغ سيادتكم» بان بنوك العالم قررت ان لا تعقد قروضاً لمصر إذا ثبت ان الولايات المتحدة لن تستأنف ارسال المعونة.

موضوع آخر أحب أن أوضحه على حقيقته بصراحة تامة عن العلاقات المالية مع الامريكيين فقد حدث ان قال لي بروس انه لو اراد ان يكون «مليونيراً» لاستطاع ذلك فإن كثيرين من الدبلوماسيين يعملون في التهريب ويربحون ارباحاً طائلة.

وبعد ذلك طلبت اليه ان يأخذ خمس آلاف جنيه مصري ويحولها إلى لندن فقال انه لا يستطيع ان يفعل ذلك لان تعليمات السفير مشددة في عدم جواز ذلك ولكن ممكن ان يحولها لي بصفته الشخصية بواسطة صديق له يسافر إلى بيروت وفي هذه الحالة يجب ان تحول أولاً إلى ليرات ثم بعد ذلك إلى جنيهات استرلينية وذلك نظير عمولة بسيطة وان يتم البيع في السوق السوداء.

وفي حديث آخر عدت إلى مناقشة هذا الموضوع معه واشعرني أولاً انه لا يستطيع ان يجزم ان في مقدوره ان يقوم هو بهذا العمل، بل يجب عليه ان يسأل أولاً عن امكانية ذلك.

وبعد ذلك أفهمني انه يستطيع تنفيذ ما اطلب منه، وعليه سلمته خمسة آلاف جنيه مصري في شهر مايو وطلبت منه ان يودع المبلغ في بنك ميدلاند في

لندن ، وابلغني بعد ذلك بثلاثة اسابيع تقريباً انه تم ايداعها فعلاً في البنك المشار اليه في لندن.

ثم بعد ذلك سلمته خمسة عشر ألف جينه على دفعتين ، دفعة عشرة ودفعة خمسة واتفقنا ان يحولها في بيروت إلى ليرات لبنانية ثم دولارات ويفتح حساب لي باسمي في بنك بيروت.

وقد افادني بانه باع هذا المبلغ فعلاً في السوق السوداء إلا انه قد باع المبلغ بسعر زهيد بسبب اغراق سوق بيروت بالجنيهات المصرية ، حسب ما ذكر لي ، نتيجة المؤتمر الفلسطيني في القاهرة.

وكان المفروض ان يبلغني يوم القبض علي باسم البنك الذي أودع فيه في بيروت المبلغ ولكن عملية القبض حدثت قبل ذلك.

واذكر انكم ، وافقتم «على ان اؤلف داخل اخبار اليوم جهازاً لجمع المعلومات وقد قدم هذا الجهاز لسيادتكم معلومات كثيرة ومتعددة في كثير من النواحي كانت موضع رضاء لسيادتكم.

ولقد كان هذا الجهاز مؤلفاً من محرري اخبار اليوم ، ولقد حدث اكثر من مرة ان وافقتم سيادتكم على ايفاد عدد منهم في مهمات في سوريا اثناء الوحدة وفي العراق وفي الأردن وفي غيرها.

وكنت ارسل لسيادتكم تقاريرهم الهامة ، وكثيراً ما تفضلتم سيادتكم وابديتم رضاءكم عن عملية جمع المعلومات التي يقوم بها الجهاز.

وكنت احاول باستمرار ان اجعل سيادتكم على علم تام بما يدور وبما يحصل عليه من اشياء وكنت اتحدث إلى سيادتكم يومياً تقريباً وابلغكم أولاً بأول بكل جديد.

ثم حدث بعد ذلك ان انقطع اتصالي التليفوني اليومي بسيادتكم ومع ذلك فقد حدث اكثر من مرة ان اتصل بي الأستاذ سامي شرف وسأل عن معلومات وطلب جمعها.

واذكر على سبيل المثال مسألة اضراب سائقي التاكسي.

وعندما كنت انحدث مع «سيادتكم» عن هذا الجهاز والأخبار التي حصل عليها سواء في مصر أو خارجها، كنت اشعر باستمرار ان سيادتكم «لا تعارضون» في هذه العملية بل على العكس تؤيدونها وترحبون بها.

ولم يكن احد من اعضاء هذا الجهاز يعلم انه عضو في جهاز سري لجمع المعلومات ولم يكن احد منهم يعلم ان هذه المعلومات تصل إلى سيادتكم وكانت هذه المعلومات بطبيعة الحال في بعض الأحيان ليست صالحة للنشر، أو غير مسموح بنشرها بطبيعة الظروف الذي حصل عليها فيه، أو مصدرة، أو لسريتها.

في اثناء مقابلاتي للامريكيين، وبعضهم يعمل في مخابراتهم، كنت استفيد من مناقشاتي لهذه المعلومات لأصحح الصورة الخاطئة لديهم او لاقناعهم بانني في بعض الأحيان «ادس» عليهم معلومات صحيحة وسط المعلومات غير الصحيحة، حتى لا يفقدوا الثقة في.

واذكر انني استفدت في الفترة الأخيرة من مناقشات مع بروس مع تقارير بعض هؤلاء الذين كنت استعين بهم في جهاز المعلومات السري، وانهم كانوا يرسلون تقاريرهم لي اما إلى الجريدة او يرسلونها إلي مباشرة داخل مظاريف مغلقة للعلم.

فمثلاً «مصطفى سنان»، كان مكلفاً بصفته مندوبنا في نيابه أمن الدولة واحد موظفيها السابقين ـــ بقضايا الشيوعية التي لم يكن قد صرح بنشرها بعد.

وفي مجلس الأمة اعتمدت على تقارير قدمها احمد نجم عضو مجلس الأمة، والذي عينه الأستاذ محي الدين لتغطية اخبار اللجان في المجلس بمكافأة شهرية قدرها اربعون جنيهاً، والاستاذ احمد يونس عضو مجلس الأمة شقيق الاستاذ اسماعيل يونس المحرر باخبار اليوم.

ومما اذكره لهذه المناسبة انه لما طالب مني بروس نص حديث سيادتكم في مجلس الأمة كان عندي هذا عن طريقها — نجم ويونس — إلا انني لم اسلمه اليه كما يظهر ذلك في التقارير المضبوطة.

وامدني محمود عوض مندوب اخبار اليوم في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، بخبر عن الجزائر ذكر انه استقاه من برقية بالشفرة ، واعلم تماماً ان هذه البرقية غير صحيحة.

واذكر ان ممن امرت لهم بمكافآت منتظمة لاسباب صحفية لا علاقة لها بجمع اخبار او معلومات وانما لقيامهم باعمال فوق اعمالهم ، نواب رؤساء التحرير احمد زين ولطفي حسونة ووجدي قنديل وسعيد سنبل وقيمتها ١٠ جنيهات لكل منهم شهرياً ، وسامي جوهر ١٠ جنيهات في مقابل سهرة في الجريدة فوق عمله ، ونبيل عصمت في مقابل سهرة في اخبار اليوم فوق عملة بالأخبار ، وقد انقطع هذا المبلغ عنهما عندما توقفا عن السهر.

اما ابراهيم سعدة فلم ادفع له مكافأة ، وهو مكلف بالقيام باعمال مخابرات بناء على اتفاق بيني وبين السيد صلاح نصر مدير المخابرات.

اما بخصوص الأوراق التي ضبطت مع بروس يوم القبض علي يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٥ والتي اطلعتني عليها نيابة امن الدولة ، فاقرر بشأنها انني لا اعلم شيئاً عن ورقة الاسئله ولا اعلم ان كان بروس ينوي ان يسألني كل هذه الاسئلة من عنده ، ولم يخرجها امامي في اثناء الحديث إلا انه سألني عن السؤال الأول وهو ما اتوقع ان يكون خطاب السيد الرئيس يوم ٢٢ يوليو ، ولم اقل له اكثر من كلمة انني اتوقع ان يتناول الخطاب المسائل الخارجية والدولية وما قدمه الاتحاد السوفيتي لنا من معونة القمح الروسي بغير ان يطلب شروطاً.

ولم يكن يكتب في ورقة امامي ، وإن كانت عادته في المرات السابقة ان يخرج ورقة ويكتب رؤوس مواضيع فقط.

وانني استشهد برئيس النيابة الذي تولى عملية القبض بان الورقة المضبوطة لم تكن امامي ولا امامه وإنما كانت في جيبه.

وقد ذكرت هذا في اقوالي، وباطلاعي على ما ورد في ترجمة التقرير الذي كتبه بروس بخطه فإن الذي ورد فيه موضوعات لم تطرق في الجلسة الأخيرة، وانما ورد على لساني بعض ما جاء فيها من مقابلات حدثت من ثلاثة شهور على الأقل.

واحب ان اثير سؤالاً، هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالات بالمخابرات الامريكية او الامريكيين المسئولين يساوي ما قدمته لهم؟

والجواب على ذلك انني لم أتقاضَ ثمن هذه الصلة مالاً أو مرتباً شهرياً، او سنوياً انما جاء المقابل في الصور الآتية فقط:

١ — اخبار امدني بها المسئولون الامريكيون ورجال المخابرات الامريكية خلال هذه السنوات العديدة وكنت انشرها في اخبار اليوم والأخبار وباقي صحف الدار وتنفرد بها دون باقي الصحف الأخرى التي تصدر في القاهرة ادبت إلى زيادة توزيع صحف اخبار اليوم وبالتالي ادت إلى زيادة ايراداتها.

ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين وكانت تجري سراً في أوروبا في ذلك الحين، وكانت اخبار اليوم أول جريدة في العالم سبقت بنشر هذا النبأ.

كذلك خبر عن اول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية. وكذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في اوروبا وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذي سيقوم به هتلر على روسيا.

وكذلك أول خبر عن مفاوضات ايطالية للتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية كذلك أول خبر عن ان الروس بدأوا يعرفون سر القنبلة الذرية.

٢ — وبهذه الصلة حصلت على امتياز اصدار المختار، وهو يدر على اخبار

اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً. وقد وافقتم سيادتكم على ان تحصل على امتياز اصدار هذه المجلة.

٣ — وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة، وهو يدر على اخبار اليوم مبلغاً كبيراً سنوياً.

٤ — وبهذه الصلة حصلت اخبار اليوم وصحفها على اعلانات من شركات ارامكو و T W A وبان امريكان، وكانت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلاً تأخذ نفس القدر من الاعلانات.

وبهذه الصلة حصلت على ورق من امريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه وهو الورق الذي تسلمته الحكومة المصرية، ولكني كصاحب اخبار اليوم استفدت من هذا الورق لانه وزع على الصحف بنسبة توزيعها فحصلت اخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق، وكان الورق الذي اشتريناه من الحكومة ارخص من ورق السوق، فربحنا بطبيعة الحال.

٦ — حاولت ان استفيد من هذه الصلة في شراء مطابع جديدة من امريكا، وطلبت منهم ان يعاونوني في ان احصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الامريكي لشراء مطبعة، وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠ آلاف جنيه، فلم يوافق البنك لانه يطلب ضماناً من الحكومة المصرية ولأن تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للصحف.

٧ — وبهذه الصلة امكنني ان أوفد ام كلثوم لتعالج في امريكا بالذرة بدون مقابل.

٨ — وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي من الامريكيين على معلومات هامة وخطيرة عن موعد هجوم اسرائيل سنة ١٩٥٤ وقد نجح سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة، وجميع الاخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالأقليم السوري وجميع الأخبار عن الحالة في العراق

بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم وجميع اخبار الموقف في السعودية بعد الأزمة التي وقعت بيننا وبين سعود.

وانا الذي اخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع احمد ابو الفتح وسعيد رمضان وبعد ان ابلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم انكم بوسائلكم الخاصة، عرفتم تفاصيل واسرار هذه المؤامرة.

هذا القرار والالتماس المكون من ستين صفحة الموقع عليه مني محرر بمعرفتي وقد ضمنته تفاصيل اتصالاتي برجال السفارة الامريكية التي تمت بعد استئذان السلطات وموافقتها وليست هناك اتصالات اخرى غير ما دونت باقراري هذا.

٥ / ٨ /١٩٦٥

(الامضاء).

«مصطفى امين»

ولقد سألت مصطفى أمين عن هذه الوثيقة التي قدمها عبد الناصر إلى هيكل وهل حقيقة كتبها مصطفى امين؟!

فقال لي:

هذه هي الاعترافات التي حكمت فيها محكمة الجنايات وقالت عنها انها وثيقة مزورة ومزيفة وقد كتبت على عدة ايام.. وان فيها تلفيق وفيها فراغات ولهذا حكمت على صلاح نصر بالسجن عشر سنين.. لانه ارغمني على انني اكتب هذه الوثيقة.

واضاف مصطفى أمين قائلاً:

ولقد قال لي النائب العام محمد عبد السلام الذي كان مشرفاً على التحقيق معي.. قال انه اشرف على التحقيق ووجد أنه لا توجد تهمة وان مصطفى أمين لو قدم إلى أي محكمة فسوف تحكم ببراءته.. ولهذا حين قابل النائب العام محمد عبد

السلام وزير العدل وقال له ان مصطفى امين لو قدم اي محكمة تحكم ببراءته وهذا امرسيكون في غاية الصعوبة وقد بلغ الرئيس عبد الناصر بذلك وقد جاءني وقال لي انني بلغت الرئيس عبد الناصر فالرئيس قال انه ما دام هذا هو رأي النائب العام فسوف نقيم له محكمة عسكرية وان الحكم سيكون رمزياً ولكن الحكم اصبح أشغالاً شاقة مؤبدة!!

شهد هذا النائب العام في مذكراته وامام المدعي الاشتراكي وامام محكمة الجنايات التي حكمت على صلاح نصر بالسجن ١٠ سنوات.

وإذا كان الاستاذ محمد حسنين هيكل من هواة التوثيق والوثائق فإنه يمكن ان يضيف إلى أرشيفه المنظم هذه الوثيقة التاريخية حيث ان سفير امريكا السابق في مصر قد كشف وثيقة رسمية خطيرة حيث تقول هذه الوثيقة ان محمد حسنين هيكل كان يقدم المعلومات إلى السفارة الامريكية في مصر عن اسرار السياسية المصرية!

وهذه الوثيقة، وهي واحدة من الوثائق الامريكية الرسمية، المحفوظة بدار الأرشيف الوطني في واشنطن، والتي اذاعها محسن محمد رئيس تحرير «الجمهورية» على صفحات «الجمهورية».

انها جزء من تقرير سري بعث به السفير الامريكي في مصر، الى دين اتشيسون وزير الخارجية الامريكية، عن الأوضاع السياسية المصرية في الفترة من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ حتى ٢ يناير ١٩٥٠.

ان هذه الوثيقة السرية — التي اذيعت بعد ٢٥ عاماً طبقاً للتقليد الامريكي الرسمي — تتحدث عن المعلومات التي كان يقدمها محمد حسنين هيكل المحرر بآخر ساعة حينئذٍ إلى السفارة الامريكية في مصر عن اسرار السياسية المصرية في ذلك الوقت، والإتصالات التي كانت تجري بين القصر والانجليز والوفد والأحزاب الأخرى.

تقول الوثيقة — على لسان السفير الامريكي في مصر ما نصه.

«وقدم حسنين هيكل وهو مراسل كبير في مجلة آخر ساعة الموالية للحكومة معلومات مطولة للمسئولين في السفارة (الامريكية) عن خلفية التغيير الوزاري يفترض فيه ان الدافع الأول للتغيير كان رغبة الملك في التفاوض مع بريطانيا حول ابرام معاهدة جديدة، كان الملك واثقاً من ان الانجليز سيرفضونها بينما الوفد في المعارضة.. وان الملك كان يعرف ان الوفد لن يحصل على تمثيل مناسب في مجلس النواب ما لم تكن الانتخابات تحت اشراف حكومة محايدة.

«واكد هيكل ان حسني بك يوسف رئيس الديوان الملكي هو المسئول الأول عن اقناع الملك بتعيين وزارة محايدة والجدير بالذكر ان وزارة عبد الهادي حاولت في اوائل يناير ان تضم الوفد إلى الوزارة تخفيفاً للرغبة التي ابداها الملك في إقامة حكومة «وحدة» وطنية لكنها لم تنجح.

وطبقاً لما ذكره هيكل فقد اجرى حسني بك يوسف مفاوضات مماثلة لم يعرف بشأنها عبد الهادي، وكللت في النهاية بالنجاح، وما زال رد فعل الجمهور العام للتغيير الوزاري غير واضح في الوقت الراهن.»

* * * *

هذا هو نصّ التقرير السري الذي ارسله السفير الامريكي في القاهرة، إلى حكومته في واشنطن.. والتقرير يقول ان محمد حسنين هيكل قدم معلومات مطولة إلى المسئولين في السفارة الامريكية، عن اسرار الأوضاع السياسية، والعلاقات بين الملك وحزب الوفد والاحزاب الاخرى والسفارة البريطانية، بل ان محمد حسنين هيكل قدم معلومات سرية عن حسني يوسف رئيس الديوان لا يعرفها ابراهيم عبد الهادي رئيس الحزب السعدي في ذلك الوقت.

والسفير الامريكي في مصر، كان يعتمد على هذه المعلومات التي كان يقدمها محمد حسنين هيكل، بدليل انه كان يرسلها منسوبة إلى هيكل، في تقارير رسمية إلى حكومته.

وهذه مهمة لم تكن نعرفها عن محمد حسنين هيكل.. قبيل ثورة ٢٣ يوليو!.. مهمة تقديم المعلومات إلى السفارة الامريكية في مصر.

أي ان الصحفي الذي اصبح لساناً لجمال عبد الناصر بعد الثورة، وشريكاً في الحكم.. كان يتعامل مع السفارة الامريكية، بتقديم المعلومات المطولة عن اسرار السياسة المصرية.

ولذلك كان غريباً فعلاً ان يختاره جمال عبد الناصر، ليكون المعبر عنه، حتى توثقت الصلة بينهما، واصبح هيكل من مراكز القوى التي كانت تحكم مصر وافسدت حياتها السياسية بعد ثورة ٢٣ يوليو.

* * * *

ولذلك، لم يكن غريباً بعد ذلك، ان يكتب محمد حسنين هيكل قبل حرب اكتوبر ليشيع روح الهزيمة، ويؤكد ان اختراق القوات المصرية لخط بارليف، سيكون مستحيلاً. وكان الضباط والجنود في ذلك الوقت، يمزقون عدد صحيفة «الاهرام» التي ظهر فيها المقال ولم يكن غريباً بعد ذلك ايضاً ان يكتب عن الثغرة الاسرائيلية بمثل ما كتبت عنها الصحف الصهيونية بل انه نشر رسماً للثغرة، هو نفس الرسم الذي نشرته صحيفة «النيوزويك» الامريكية المعروفة بانحيازها الصهيوني.

سألت الكاتب مصطفى امين: ما هو السبب الخفي الذي يدور في اعماقك الذي ادى بك إلى السجن ٩ سنوات؟!

فقال لي: انا معتقد ان السبب الرئيسي هو ان عبد الناصر اراد ان يكسب الروس خاصة وان كوسيجين كان في طريقه إلى القاهرة وقد سبق وان شكا خرشوف إلى عبد الناصر من ان اخبار اليوم ضد الاتحاد السوفيتي على طول الخط.

وقلت لمصطفى أمين:

ولكن جمال عبد الناصر اختلف مع الروس في الفترة الاخيرة قبل رحيله فلماذا لم يفرج عنك؟ !

فقال : بعد ما حبسني ! .. لقد سبق السيف العذل ! .. عبد الناصر اراد ان يغيظ امريكا حينما وجد علاقتي طيبة بامريكا فاعتقد ان امريكا بذلك تغتاظ حين يحكم عليٍّ بالسجن ! . وهذا هو الذي قاله عبد الناصر لمحمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان والذي شهد به في التحقيق ذاته سأل محجوب جمال عبد الناصر وقال له :

ـــ هل مصطفى امين جاسوس !

فقال عبد الناصر :

ـــ ابداً .. دا انا اللي كلفته بالاتصال بالامريكان .

فقال له محجوب :

ـــ ولماذا سجنته ؟

فقال عبد الناصر :

ـــ انا حبيت اغيظ الامريكان ! !

وحين سألت الكاتب الكبير مصطفى امين عن حقيقة اعتماد الرئيس السادات على هيكل في الاتصال بالامريكان وهل هذا هو السبب ايضاً في ابعاد هيكل حين حقق السادات هدفه فانهى علاقته بهيكل ؟ !

وكانت اجابة مصطفى امين هي اعتقادي بأن السبب الذي من اجله غضب هيكل على السادات هو ان السادات افرج عني ! ! هذا هو السبب الحقيقي .. قبل ذلك كان هيكل في خدمة السادات .. وكان يكتب للسادات خطبه وهو الذي خطط لأحداث ١٥ مايو مع السادات وهو الذي تحمس وفضح ابطال ١٥ مايو وقال انهم يستعينون بالغيب .. واحد منهم يقرأ البخت والآخر يحضر الأرواح .. وانهم يحضرون روح عبد الناصر ليسألوه : نحارب أو لا نحارب !

فهو كان مؤيداً للسادات على طول الخط إلى ان جاء ما يغضب هيكل ويفزعه خاصة وإن ما حدث جاء من وراء ظهره ! لدرجة ان السادات هو الذي تحدث إلى موسى صبري في التليفون وقال له :

— انا وقعت الان قراراً بالافراج عن مصطفى امين.. تستطيع ان تنشره لكن بشرط الا يعرف هيكل بهذا الخبر!

وقد حضر موسى صبري وحدث اتصال مع محمود ابو وافية وبعد ذلك جاء السادات وقال :

— مصطفى أمين وعلي أمين يستطيعان ان يكتبا في نفس العدد في الاخبار.. كل هذا وهيكل لا يعلم شيئاً عما حدث ! ..ثم فوجئ هيكل وهو يقرأ الأخبار في الصباح بخبر الافراج عني في الصفحة الأولى ! فلم يصدق عينيه ! .

هيكل اعتقد انه قد تم الافراج عني في هذا اليوم ! .. فنشر الخبر كان يوحي بانه قد تم الافراج عني قبلها بيوم.. وفي الواقع انني لم اكن قد خرجت بعد لما نشر الخبر.. فقد قرأ الشعب الخبر في الساعة السابعة صباحاً وخرجت في الثانية عشرة ظهراً في نفس اليوم..

هيكل جاءني وكان مضطرباً جداً.. مضطرباً جداً.. وجلس معي ثلاث دقائق بحساب الساعة وبعدين قال لي :

— انا آسف انا مضطر للانصراف لان معاياه ميعاد مع الريس !

والحقيقة انني قابلته ببرود لأنني عرفت دوره كاملاً.

وقال لي هيكل :

— انت ما خرجتش غير النهار ده.

قلت له : ايوه.

فقال لي : انا فهمت انك خرجت بالأمس.

كان مضطرباً للغاية في هذه المقابلة التي لم تستغرق سوى ثلاث دقائق وتعلل بانه لديه موعداً مع الرئيس السادات.. فجعلته يخرج وانا فاهم انه كذاب!

واتصلت بسكرتير الرئيس السادات بالتليفون وقلت له:

— هل حقيقي ان هيكل لديه موعد مع الرئيس السادات الآن.

فقال لي: غير صحيح.. هيكل ليس له ميعاد مع الرئيس ولا حتى طلب مقابلة!

ولقد اصدر الرئيس السادات في ١٨ مايو ١٩٧٤ القرار الجمهوري رقم ٥٨ لسنة ١٩٧٤ وهذا نصه:

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ باصدار قانون العقوبات والقوانين المعدلة له.

وعلى القانون رقم ٥٠ باصدار قانون الاجراءات الجنائية والقوانين المعدلة له.

وعلى القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ في شأن تنظيم السجون..

وعلى المذكرة المقدمة من المدعي العام الاشتراكي..

قرر:

مادة ١ — يعفى من العقوبة المحكوم بها على السيد مصطفى امين يوسف في القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ امن دولة عليا وكذا كافة الآثار والعقوبات التكميلية والتبعية المترتبة على الحكم الصادر منها..

مادة ٢ — ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ صدوره..

ولقد قبض على مصطفى أمين وعلي أمين عدة مرات ولكنهما في كل مرة لم يتعرضا لهذا البطش والتنكيل والتعذيب المميت الذي تعرض له مصطفى أمين في

سجنه وتعرض له علي أمين من عذاب نفس في الاخفاق في الحصول على جواز سفر لمدة سنة ولو حتى لمدة ستة أشهر من دولته مصر!!

في سنة ١٩٢٨ قبض على مصطفى أمين وعلي أمين حين قادا مظاهرة من اجل مصر تهتف بسقوط رئيس الحكومة محمد محمود باشا الذي الغى الدستور وسجنا لمدة ٣ ايام في سجن التخشيبة ورفتا من جميع المدارس وكان عمرهما وقتئذٍ ١٤ سنة فقط.

في سنة ١٩٣٠ وعمرهما ١٦ سنة قبض عليهما وهما طالبان في المدرسة الخديوية لانهما قادا اضراباً لطلبة المدارس الثانوية وقادا مظاهرة اصطدمت بالبوليس احتجاجاً على إلغاء اسماعيل صدقي للدستور الشعبي وبقيا في السجن أربعة ايام إلى ان اصدر القاضي حكمه بالافراج بكفالة ثم قضي مجلس الوزراء امره بالرفت من جميع المدارس وحرمانهما من جميع الامتحانات.

في سنة ١٩٣٩ حكم على مصطفى أمين بالسجن لمدة ٦ اشهر مع ايقاف التنفيذ وكان عمره ٢٥ سنة لأنه كتب مقالاً يهاجم فيه الأمير محمد علي ولي عهد المملكة المصرية وتعيين وصي عليه لأنه قاصر وكان يبلغ من العمر ٧٠ سنة!!

ولقد قبض على مصطفى أمين عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو مباشرة فقد حدث في اليوم التالي لقيام الثورة ان قدم صحفي من جريدة منافسة لأخبار اليوم إلى قيادة الثورة يقول فيه «انه حدث في يوم ٢٣ يوليو ان اتصل علي أمين ومصطفى أمين تليفونياً من لندن وتحدثا مع وكيل وزارة الخارجية وطلبا إليه ان يتدخل الجيش البريطاني ضد الثورة وإن الحديث مسجل على اسطوانة موجودة في مصلحة التليفونات».

ووصل البلاغ في ساعة متأخرة من الليل.. وذهب احد الضباط إلى مصلحة التليفونات ليحقق في شأن هذه المحادثة التليفونية إذ ان كل الاحاديث التليفونية مع الخارج كانت مراقبة. وإذا بالضابط يجد قسم الرقابة التليفونية مغلقاً لانصراف الموظفين المختصين!

وفي الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة ٢٥ يوليو دخل ثمانية من الضباط غرفة نوم علي أمين بمنزله بالروضة واحاطوا بفراشه وقد صوبوا مدافعهم الرشاشة نحوه وابلغوه ان الثورة امرت بالقبض عليه ثم صحبوه إلى منزل مصطفى أمين بالزمالك وايقظوه من النوم وقبضوا عليه ايضاً.

وتبادر لعلي ومصطفى في هذه اللحظة ان الجيش قرر خلع الملك وان الغرض من القبض عليهما هو الا تنشر اخبار اليوم نبأ الخلع في العدد الصادر في صباح اليوم التالي كعادتها في السبق بالأخبار ولكن لم يدر بخلدهما ان الثورة قبضت عليهما لانهما من اعداء الثورة..

ووضع الحراس كلا منهما في زنزانة مستقلة بالكلية الحربية وكانت الثورة قد حولت الكلية الحربية إلى معتقل.

وفوجئ مصطفى أمين وعلي وهما في المعتقل بجريدة المصري تنشر في ابرز صفحاتها نبأ بعنوان «اتصال بلندن» هذا نصه: اتصل احد اصحاب دور الصحف التي تصدر اسبوعية بلندن امس الأول وتحدث مع بعض المسئولين البريطانيين وزودهم بمجريات الأمور في مصر على اثر الحوادث الأخيرة»..

وما كاد ينشر هذا النبأ ويعرف نبأ الاعتقال حتى شعر خصوم اخبار اليوم انها انتهت! ان هذا دليل على صدق كل المزاعم التي قيلت ضد الجريدة الثائرة. وانتشر النبأ في كل أنحاء البلاد وطيرته وكالات الأنباء إلى الخارج واذاعته محطات الإذاعة ونشرته صحف العالم في صفحاتها الأولى ولكن الغريب إن دار اخبار اليوم لم تهتز. ان محرريها لم يصابوا بالذعر ان عمالها لم ينهاروا تحت ضغط هذا الاتهام الرهيب... ان ايمانهم باخبار اليوم كان عجيباً على حد تعبير الكاتبة الصحفية مي شاهين في كتابها «شارع الصحافة».. لم تتوقف مطابع الدار لحظة واحدة واستمر كل من في اخبار اليوم يعمل وكأنه لم يحدث شيء واستمرت تصدر وتحرر وتطبع وكأن صاعقة لم تنزل عليها. وكان ثبات العمال والمحررين دهشة الناس بل دهشة الرجال المسئولين فقد توقعوا ان الصحف ستتوقف وان الدار ستغلق بالضبه والمفتاح

وإذا بهم يرون إن هذا النبأ صدم الرأي العام ولم يصدقه إلا خصوم اخبار اليوم..
وفي اليوم التالي اذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالي:

«نمي إلى القيادة العامة للقوات المسلحة من مصادر مختلفة ان الاستاذين مصطفى وعلي أمين على اتصال بافراد يهدفون إلى هدم حركتنا الوطنية المباركة ولم يسعنا في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها البلاد سوى اعتقالها وقد تم ذلك اليوم. وغني عن البيان ان امر اعتقالها كفردين تحوم حولها الشكوك ليس له ادنى علاقة باسرة الصحافة. وسوف يطلق سراحهما فوراً بمجرد عودة الأمور إلى مجاريها الطبيعية».

وفي صباح يوم الاعتقال ذهب ضباط من القيادة إلى مصلحة التليفونات للبحث عن الاسطوانة التي سجل عليها الحديث الذي دار بين مصطفى أمين وعلي أمين في اخبار اليوم وبين وكيل وزارة الخارجية البريطانية في لندن.. وجري تحقيق مع عاملات التليفون ومع الموظفين المختصين وإذا بالضباط يكتشفون انه لا توجد هناك اسطوانات! فسألوا: هل تسجل المصلحة الأحاديث الخارجية مع الخارج؟ فاكدت المصلحة انها تحتفظ ببعض كل محادثة خارجية وانه لم تجر اية محادثة خارجية بين أخبار اليوم ولندن ولا بينها وبين أي بلد آخر! وانها لم تتصل تليفونياً بلندن منذ عدة اسابيع قبل الثورة وانها قبل ذلك كانت تتصل بمراسلها هناك زغلول السيد!

وتأكد الضباط ان البلاغ كاذب ولا اساس له من الصحة وان الغرض منه هو التخلص من اخبار اليوم بعد ان فشلت محاولات التخلص منها في العهود الماضية وان اصحاب الدسيسة ظنوا ان قيام الثورة فرصة مناسبة للقضاء عليها.

وذهب الضباط إلى وزارة الداخلية وحطموا خزانة المصروفات السرية فعثروا فيها على الأوراق والمستندات التي تحوي اسماء الصحفيين الذين قبضوا مصروفات سرية وما كان اشد دهشتهم عندما وجدوا ان مصطفى أمين وعلي أمين من الصحفيين القلائل جداً الذين لم يقبضوا مليماً واحداً من هذه المصروفات في أي

عهد من العهود.. وهالهم ان وجدوا في المستندات اسماء صحفيين كانوا يظنونهم ابطالاً !

ومكث مصطفى وعلي في الاعتقال أربعة ايام.. ثم وصل إلى المعتقل احد ضباط القيادة وابلغهما ان قواد الثورة يرغبون في الاجتماع بهما على الفور..

وذهبا وقابلا اعضاء مجلس الثورة مجتمعين وقال القائد العام للقوات المسلحة «ان القيادة آسفة لهذا الخطأ الذي حدث وقد ثبت لها ان الوشاية كاذبة ولا أصل لها وان القائد العام سيذيع اعتذاراً لهما عما حدث «واستمر الاجتماع ساعتين كاملتين وقال القائد العام: «ان القيادة تبينت براءتهما في اليوم التالي لاعتقالهما ولكنها كانت مشغولة بعملية عزل فاروق فبقيا في الاعتقال اربعة ايام حتى انتهى عزله».

وعاد القائد العام من الاسكندرية وكان أول أمر اصدره هو الافراج عنهما واذاع القائد العام البيان التالي «تعلن القيادة العامة للقوات المسلحة انه قد تبين ان الاتهامات التي وجهت إلى الأستاذين مصطفى أمين وعلي أمين نتيجة بلاغ حضرتيهما لم تثبت صحتها.

وقرر سرعة الاجراء ان يعتقل الاستاذان قبل التثبيت من صحة البلاغ وقد استدعاهما القائد العام إلى مكتبه وبين لهما الأسباب التي دعت إلى هذا التحفظ وسروره بعد ان تبين للقيادة ان هذه الادعاءات لا نصيب لها من الصحة».

وامرت القيادة باذاعة هذا البيان في الإذاعة خمس مرات في يوم واحد! وخدم هذا الحدث صحفية الأخبار اليومية فقفزت من المرتبة الثالثة في التوزيع بين الصحف إلى المرتبة الأولى في ٢٤ ساعة.

ثم مرة ثانية سجن مصطفى أمين سنة ١٩٥٤ لمدة يوم واحد لأنه كتب خبراً يطلب فيه من الجيش البريطاني ان يتدخل لقمع الثورة.

ثم تم حبس مصطفى أمين وعلي أمين حين كتب موسى صبري مقالاً في مجلة آخر ساعة اغضب فيه المهدي السوداني فبدلاً من حبس موسى صبري أو محمد

حسين هيكل رئيس التحرير تم حبس مصطفى أمين وعلي أمين في السجن الحربي بأمر اللواء محمد نجيب ثم تدخل جمال عبد الناصر وافرج عنهما.

ولكن على الرغم من ان مصطفى أمين تم حبسه عدة مرات إلا انها لم تكن في شدة سجنه الأخير الذي لاقى فيه كل أنواع التعذيب والتنكيل والوحشية واللا أدمية والذي تعرض له مصطفى أمين تعرض له كبار كتابنا.. تعرض له كل من حاول ان ينتقد الرأي الواحد وان يبدي التصحيح.. احسان عبد القدوس دخل السجن الحربي والقوا به في زنزانة لا يدخلها الهواء ولا الشمس! جلال الدين الحمامصي انتقد رداءة رغيف العيش فصدر الأمر بابعاده عن الصحافة! موسى صبري اوقف من العمل كرئيس تحرير الأخبار لأنه تجرأ وانتقد تسريحة مذيعة تليفزيون.. وزوجة لأحد من كبار الضباط وقتذاك! انيس منصور طرد من وظيفته ومنع السفر ومنع من طبع كتبه أو نشر مقالاته في مصر أو خارجها لا لشيء إلا لأن البعض اساء تفسير يومياته في الأخبار!

انهم ارادوا اغلاق نوافذ النور ووضع كتل الاسمنت البارد حول الفكر الحر.. ان بلاط صاحبة الجلالة في الزنزانة!!

ومن مفارقات الأيام ان أول مقالة كتبها ونشرت صباح يوم خروجه من السجن كان اسمها «عصر العبور»!!

«اليوم» «اعبر» أول خطوة من خطوات الحرية،
بعد ان عشت في ظلام السجن حوالي تسع سنوات.
ولا استطيع ان أخطو إلى الهواء الطلق خطوتي
الأولى إلا ان اذكر الرجل الذي فتح لي باب الحرية.
وفتح قبل ذلك ابواب الحرية امام مئات المعتقلين.
واعاد العدالة لمئات القضاة، ووفر لقمة العيش لآلاف من الذين وضعوا تحت الحراسة أو حرموا من وظائفهم

من حق هذا الرجل ان يطلق على عصره «عصر العبور»..
عبور الجيش المصري من الهزيمة إلى النصر
وعبور الشعب المصري من الانقسام إلى الوحدة..
وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة..
وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل..
وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة
والامان والاستقرار..
وعبور المقيدين من الأغلال إلى حياة الاحرار..
وسوف يعبر بعد هؤلاء كثيرون..
ان ٦ اكتوبر اعطتنا درساً عظيماً وهو ماذا يستطيع
الانسان المصري ان يفعل وهو حر وبغير ان يعتقل
فرد واحد اثناء المعركة سوى.. اسرى الاعداء..».

(الامضاء)

مصطفى أمين.

إن السجين رقم ٣٠٧٠٠ نزيل الزنزانة رقم ٩٨ في ليمان طره لم يقنط من رحمة الله.. لم ييأس.. لم يفطم نفسه عن الأمل.

انه مصطفى أمين.. ايمان سجين.

حب في الزنزانة..

مصطفى أمين عرف زوجته لأول مرة في سجن طرة!..

إذا كان العاشق يرتدي لحبيبته اجمل بدلة واجمل كرافتة.. فإن مصطفى أمين كان يرتدي لحبيبته بدلة السجن. وإذا كان اللقاء الأول بين العاشقين يحدث في حديقة.. في حفلة في ناد.. في كازينو على النهر فإن لقاءه الأول مع حبيبته السيدة ايزيس عبد العظيم طنطاوي حدث في سجن طرة... حب في الزنزانة.. وكان ذلك شيئاً غريباً وغير معتاد ان تحب امرأة في الحرية مسجوناً محكوماً عليه بالاشغال الشاقة وسيخرج عام ١٩٩٠!

وحين سمع مني الكاتب الكبير مصطفى أمين هذا الرأي قال لي:

ــ انها كانت مستعدة ان تنتظرني حتى عام ١٩٩٠ أو حتى لو كنت سأخرج في القرن القادم!.. فالحب لا يعرف القيود.

ويروي لي الكاتب الكبير قصة بداية هذا الحب فيقول: رفضت في البداية ان يزورني أولادي في السجن فقد رفضت لكيلا أعرضهم لمشاهدة مناظر وحشية في السجن.. يكفي ان يكون بيني وبين من يزورني «سلك» مثل حديقة الحيوانات في قفص القرود فكنت لا أريد ان أعرض أولادي لمثل هذه التجربة القاسية ولما كبروا وافقت ان يزوروني ثم فكرت ان ابعثهم إلى عمهم علي أمين في لندن حتى يغيروا مناظر فجاءت ابنة عمتي تزورني ومعها بنتها تقود لها السيارة ولما حاولت زيارتي. المأمور اعترض وقال.. لا.. لا واحدة فقط هي التي تدخل.. لا بد من اذن للثانية وفي المرة الثانية احضرت اذناً وكانت أول مرة اراها فيها رغم انها كانت تعيش في فترة من الفترات في منزلنا ولكن العمل الصحفي كان يستغرق حياتي كلها من الثانية صباحاً وكانت لا تزال نائمة ولا أعود إلا في الثانية عشرة ليلاً وتكون قد

اخلدت إلى النوم. ورايتها لأول مرة كانت تبدي اهتماماً بكل ما اطلبه.. مجرد الإشارة.. النظرة.. اللمحة تفهمها دون أي شرح.. واهم شيء كان يهمني هو تهريب الخطابات من داخل السجن بالاستعانة ببعض تلامذتي وحدث تفاهم واحببتها واحبتني.. وكان لا يزال وسيظل إلى الأبد حباً عظيماً بكل معاني الكلمة».

والحقيقة ان السيدة ايزيس قد تعرضت لتهديدات اثناء سجن الاستاذ مصطفى أمين من بعض المسؤولين.. لا تذهبي إلى مصطفى أمين.. وهددت انها توضع تحت الحراسة ولكن في الحقيقة لم يكن يهمها ويعنيها شيء من هذه التهديدات.

ومن الخطابات التي أرسلها مصطفى أمين اليها اثناء السجن يظهر فيها مدى هذا الحب.. فعبارات مصطفى أمين في هذه الخطابات تكشف اعماقه!

ومنها هذا الخطاب!

«اعترافات كالحلم»

«سجن ليمان طرة

٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٩

يا حياتي

احقاً.. ان ما حدث قد حدث؟

لو كذبت اذني فهل استطيع ان اكذب عيني؟ لو كذبت عيني فهل استطيع ان اكذب احساسي الذي لم يكذب ابداً؟ هل اصبح الحلم حقيقة. الحلم الذي عشت استمتع به في ليالي وحدتي؟ لم اذق السعادة الحقيقية منذ سنوات طويلة حتى كدت انسى طعمها.. ولأول مرة احسست اليوم بطعمها في شفتي، بحرارتها في جسدي بحلاوتها في كياني.

كان اعترافك بالحب لذيذاً كأنه حلم. كان ممتعاً كأنه حقيقة. الكلمات القليلة التي قلتها جعلتني انتشي. عيناك اكملت ما بقي من كلمات. همساتك في اذني كانت موسيقى تعزف. وبقيت تعزف بعد انصرافك. لا تزال تعزف الحاناً حلوة، وانا اكتب لك هذه الرسالة. التفاهم الذي حدث بيننا اصبح غير معقول، كأننا نتبادل الكلمات بغير صوت، ونتعانق ونحن مقطوعي الأيدي!

لا تتصوري مقدار سعادتي عندما احسست انك تعزفين على كلماتك نفس الانغام التي اعزفها على كماني نفس اللحن نفس كلمات الأغنية. وبيني وبينك هذه المسافات الطويلة وهذه الأسرار العالية! كنت أفسر كل كلمة في رسائلك العادية على انك تشعرين نحوي بما اشعر نحوك، ثم اعود وألوم نفسي واتصور ان شعوري الجامح نحوك أعماني فجعلني اتخيل غير الحقيقة. ولكن قلبي يؤكد لي ان احساسي صادق، وإن هذا الحب الغريب العجيب بدأ فعلاً.. ولد بغير كلمات!

لا تتصوري كم اسعدتني! انك فتحت ابواب سجن كنت اسجن فيه قلبي. حطمت القضبان وكسرت السلاسل والاغلال التي قيدت هذا القلب انت فعلت لي أشياء جميلة جداً. لا يمكنك ان تتخيلي مقدار جمالها وحلاوتها!.

في هذا اللمان الذي أعيش فيه يتطلق المتزوجون، وينفصل المحبون، ويفترق العشاق، ويتباعد الأصدقاء، ويتنكر الاقرباء. الغريب ان يولد في هذا المكان نفسه حب عظيم. كيف يولد في مقبرة الحب حب كبير؟ شكراً لك. انت اعدت للحياة في شفتي كل حلاوة الحياة!

احسست منذ مدة اننا نقترب اكثر واكثر في كل لقاء، واليوم تأكدت ان هذا الاقتراب تحول إلى اندماج كامل. وهذا هو احلى ما يصل اليه الحب.

وعد بالعذاب والشقاء

انني اشعر احياناً كأنني انا وانت في «مرجيحة» حبنا الكبير يرفعها إلى السحاب، وواقعها الأليم يهوي بها الأرض.. فأنت لست مجنونة. عندما تشعرين

لحظة انك اسعد امرأة في العالم. الذي بك هو الذي بي. داؤنا واحد، فلا عجب ان تكون اعراض المرض واحدة!

لا نكاد نشبع معاً، حتى نجوع من جديد. لا نكاد نحس بمتعة اللقاء حتى يعذبنا الفراق. هذا هو انا يا حبيبتي..كوكتيل من هناء وشقاء. مزيج من السعادة انها تكفينا العمر كله، ولا تمضي ايام قليلة حتى نتحسس القطرات فوق شفاهنا فلا نجد سوى مرارة الحرمان.

وسنبقى نتأرجح بين الهناء والشقاء، إلى ان يجيء العيد الكبير، وعندئذٍ لا نذوق جرعة السعادة الكبيرة قطرة قطرة، وانما تتساقط علينا كالمطر!

في بعض الأوقات اخشى ان اكون اغرقك في بحر من التفاؤل. اخاف ان يكون شوقي الكبير هو الذي يصنع الفجر الكاذب. ثم لا البث ان اقنع نفسي انك مستعدة ان تنتظريني الف سنة! لم اعدك حين احببتني كل هذا الحب إلا بالعذاب والشقاء! ولم امنيك إلا بالدموع والحرمان. لم ابدأ معك برحيق شفتي، وإنما بدأت بدموع عيني. وعلى الرغم من كل هذا اقبلت على حبي رضيت بهذا الذل والهوان. رحبت بان تشاركيني الجحيم الذي أعيش فيه وكأنك تدخلين جنات النعيم.

كان في حبك بطولة. وقد احببت البطلة فيك كما احببت الإنسانة فيك. احسست انك اكبر كثيراً من كل الصعاب والعقبات. كانت امنية حياتي ان احب امرأة اكبر من الكوارث تدوس الاسوار باقدامها تشعر ان كل المتاعب صغيرة وتافهة تتضاءل امام حبها العظيم. لا تحني رأسها للأحداث. وإنما الأحداث تركع امام صمودها وقوة حبها..

وقد وجدت كل هذا فيك. بل وجدتك تكبرين كل يوم. بينما غيرك يصغر ويتضاءل تطول قامتك بينما تقصر احجامهم. تستهينين بالأخطار، تهزئين بأي شيء يقف بيني وبينك اني احب الجبال التي اصعد إلى قممها، ولا احب الحفر التي اسقط فيها. وهذه الصفات تستهويني فيك تثيرني. تهزني.

وانا لا أحب فيك شيئاً واحداً. انني احب فيك الوف الأشياء وفي كل يوم اكتشف فيك جديداً يستحق الحب ويستحق الاعجاب.

ومن الذي احببته فيك انك ملأت قلبي بالأمل وزرعت فيه التفاؤل فيك رائحة الفجر!

ومنذ احببتك اصبحت انتظر الفجر..

لأنني انتظرك!

* * *

كل نبوءاتي سوف تصدق كل ما تمنيته حتى الآن قد تحقق!

كل ما تصورت انه مستحيل اصبح واقعاً لم اطلب منك في يوم من الأيام شيئاً سهلاً..

كل ما طلبته منك كان صعباً، وصعباً جداً، حبك الكبير هو الذي جعل الصعب سهلاً، والمستحيل ممكناً جداً. لو قلبت صفحات حياتك، وعدت إلى الصفحات الأولى، هل كان يخطر بخيالك ان تكوني كل ما انت الآن؟ لا يمكن!

عندما اقول ان حبنا اعاد الأمل الينا نحن الاثنين من جديد لا ابالغ. اصور الحقيقة وهي حقيقة مذهلة، لا يصدقها عقل. لم يكن في استطاعة احد سواك ان يصنع ذلك ويزيد في اعجابي بك انك وصلت إلى كل هذا النجاح وانا بعيد عنك. لو انني بقيت مع امرأة اخرى أربعا وعشرين ساعة كل يوم. وقاسمتها كل حياتها، لما امكنها ان تصل إلى هذا الاندماج الكامل الذي وصلت اليه.

لست سعيداً بحبك فقط. انا سعيد بك ايضاً. اغبط نفسي لأنني عرفت كيف اختار، وانني وفقت في اختياري. وان نبوءاتي كانت اقل كثيراً مما رأته عيني، ولمسته يدي. عندما قابلتك كنت اختم حياتي، فإذا بك تبدئينها من جديد. كنت استعد لأن اكتب كلمة «النهاية» على قصة حياتي فإذا بك تجعلين هذه النهاية هي بداية قصتنا.

انت ايقظت في اشياء كثيرة كانت غائبة. احييت في اشياء عديدة كانت ميتة، فإذا بحبك يبعثها من جديد. انت جعلت من كفني علماً، ومن قبري عش غرام، ومن موتي حياة، ولولا انك اصبحت كما اردتك لكنت الآن نصف حي ونصف ميت! اندماجك الكامل في انصهاري التام فيك، وتفاهمنا العجيب، كان بالنسبة لي هو يوم مولد جديد!

وسوف تتحقق نبوءاتي كلها يا حبيبتي!

* * *

من اصعب الأمور ان يجد الإنسان صورة كاملة منه في إنسان آخر. قد يشبهنا اخواننا في ملامحنا. قد يشبهنا أولادنا في بعض طباعنا. قد نرث بعض صفات آبائنا. ومن النادر ان يجد الإنسان صورة كاملة منه. قطعة من مشاعره واحساسه وعواطفه. صورة من احلامه وامانيه. نسخة من معتقداته وافكاره هذا هو الذي جعلني اتشبث بك. وجدت فيك المستحيل!

الآن عندما اطل فيك احس كأنني أطل في المرآة، ارى نفسي فيك. ويزيد في ذهولي انني رجل غير عادي. اختلف كل الاختلاف عن باقي الناس. أشعر احياناً انني غريب عنهم. كأنهم يتكلمون لغة اخرى غير اللغة التي اتكلمها، وإذا بي اجد فيك امرأة غير عادية. امرأة مختلفة كل الاختلاف عن باقي النساء. غريبة عن عالمك. كأنك خلقت لتعيشين في عالمي وحدي!

وأنا لا ألوم الذين لا يفهمونك. أنت اشبه بجهاز استقبال حساس جداً يسمع الهمسات ويلتقط كل الموجات، ثم يذيع اغنية بعدة لغات في وقت واحد، لا يفهمها إلا الذي يجيد كل هذه اللغات معاً!

انت اذكى امرأة رأيتها في حياتي، لأن امرأة غيرك لم تفهمني هذا الفهم. وبهذه السرعة. وأنت اكثر امرأة حساسية مرت في طريقي، تحسين بي احساساً لم يحس به احد من قبل. معك لست بحاجة ان اتكلم ولا ان اشرح. اصبحت

تعرفين الكلمة قبل ان انطق بها. تحسين بحرارة شفتي وهي بعيدة. تعيشين معي كل يوم بغير ان اكون معك في كل يوم. احياناً اتصور ان الكلمات اصبحت عاجزة لا تستطيع ان تعبر عن كل ما نريد ان نقوله، ومع ذلك نفهم ما نريد ان نقوله بغير كلمات!

لا اظن انه دار بخيالك انك ستقابلين رجلاً لأول مرة في حياتك وتشعرين انك تعرفينه العمر كله. ولا أظن انه خطر ببالك انك ستدخلين سجناً وتجدين في هذا السجن حريتك! ولا اظن انك كنت تصدقين قارئ الكف إذا قال لك انك ستلتقين ذات يوم بقريب من أقرب اقربائك لم تري وجهه ابداً ثم تكتشفين انك كنت تبحثين عنه طوال هذه السنين. وكان يبحث عنك طوال هذه السنين، ولم يلتق بك في بيت قريب أو نسيب أو فرح أو مأتم أو مأدبة أو صالون، ثم تكتشفان بعد دقائق انكما كنتما معاً العمر كله!

انك جعلت من حياتنا معاً حلماً جميلاً رائعاً.. وأحاول ان أبحث سر هذا كله. هل الحب هو الذي صنع بك كل هذا؟ هل كان هذا الحب شيئاً هائلاً فكان لا بد ان ينتج هذه النتيجة الهائلة؟ ام أن أحساسك القوي هو الذي جعلك تحسين بكل شيء كأنك تعيشين في داخلي وتقيمين في اعماقي؟

* * *

اصبحت الان صندوق البريد الذي اضع فيه كل رسائلي ومقالاتي وقصصي. كبر الصندوق واتسع حتى اصبح الصندوق مصلحة البريد. اخاف عليك من المهمة الخطرة التي تقومين بها رغم الرقابة الصارمة عليك وعلى كل خطاب اكتبه وكل خطاب اتلقاه. أنا معجب بقوة اعصابك ورباطة جأشك وشجاعتك. كلما تتبع الطغيان خطواتك، وعدت عليك أنفاسك، وضيق عليك الخناق، وحاول حصارك زدت اصراراً على أن تخترق رسائلي ومقالاتي الحصار المضروب.

انني اعشق المرأة الذكية الشجاعة. الذكاء يضاعف جمالها، والشجاعة تزيد

فتنتها وسحرها. ما تفعلينه الان يذكرني بالدور الذي كانت تقوم به المرأة المصرية في ثورة ١٩١٩ عندما كانت تخترق حصار الجيش البريطاني المسلح بالمدافع والبنادق، وهي تخفي في داخل سترتها السوداء منشورات الثورة واسلحة للثوار بغير ان تهتز فيها شعره، وبغير ان يبدو عليها الاضطراب. وقبل ثورة ١٩١٩ كانت هذه نفسها لا تجرؤ ان تعبر الشارع من بيتها إلى بيت الجيران إلا ومعها خادم يحرسها، أو زوج بمهمة الديدبان! انني سعيد أن أرى في المرأة المصرية الجديدة شجاعة وبطولة أم المصريين صفية زغلول. فأنا أؤمن أن لا مستقبل لهذا البلد إلا إذا اشتركت المرأة مع الرجل في مقاومة الطغيان.

من أرسلك الي؟

جاء اليوم سجان مخيف. يثير اسمه الرعب في كل قلوب المسجونين. المسجونون في مأتم. سيأكلون طعامهم بارداً، لأنه سيصادر السخانات. سيحرمون من شرب الشاي لأنه سيمنع دخوله إلى العنبر. سيعكر عليهم حياتهم بالتفتيش في كل ساعة من ساعات الليل والنهار.. سيمنعهم من كتابة الخطابات لاحبائهم اكثر من مرتين في الشهر. سيؤخر وصول الخطابات اليهم امعاناً في تعذيبهم واذلالهم! وانا لا يهمني ان آكل طعامي بارداً، ولا يهمني ان لا اذوق الشاي. ولا يهمني ان يفتشوا زنزانتي في كل ساعة من الأربع والعشرين ساعة كل ما يهمني ان أستطيع الكتابة. فإذا حرمت من هذه اللذة فقد حرمت من كل شيء. عندما اكتب اشعر انني اتنفس، وعندما احرم من الكتابة اشعر انني اختنق. عزائي ان كل هذا لن يدوم، مع الوقت تتراخى قبضة السجان، تتعب يده التي تضغط علي اعناقنا قبل ان تتعب اعناقنا. ولا يوجد شيء يمنعني أن أحبك. سوف ابقى أحبك وكلما ضايقوني اكثر سأحبك اكثر واكثر!

من الغريب كلما زادت متاعبي زادت خطاباتك. شعر قلبك بآلامي فسارع يرسل لي كل يوم خطاباً يزيل الآلام. أنت جعلت كل يوم من ايامي جميلاً لأنه يصلني في كل يوم خطاب جديد منك. انت تفعلين من اجلي الكثير. تقدمين كل

شيء قبل ان اطلبه. تحققين لي ما اجرؤ أن أتخيله. كل متاعبي في السجن تهون امام هذا الهناء العجيب الذي تغمرينني به.

هل الذي أرسلك إلى اصدقائك الذين قطع الارهاب ايديهم فلم يستطيعوا ان يمدوا إلي يداً.

ام الذي ارسلك هم تلاميذي الذين شل البطش والطغيان والاستبداد حركتهم فلم يستطيعوا ان يخرجوني من هذا الجحيم، وقطعت الديكتاتورية السنتهم فلم ينطقوا ليلعنوا الظلم، وهرس الجبروت اصابعهم فلم تعد قادرة ان تمسك الاقلام لتدافع عن الأبرياء؟

ام الذي ارسلك هم الاحرار في البلاد العربية الذين عرفوا الجهد الذي بذلته طول حياتي لتخليص كل شعب عربي من سجن الاستعمار والاستبداد فبعثوا بك لتخلصيني من زنزانة الطاغوت!

لا أعرف ماذا جاء بك فجأة إلى السجن يا حبيبتي بعد ان بقيت اربع سنوات كاملة في هذا الجحيم..

لا بد ان الله هو الذي أرسلك لتخرجيني من هذا الجحيم!».

ومن الخطابات التي يعتز بها مصطفى أمين والتي أرسلها إلى حبيبته تلك الرسالة التي يحكي فيها قصة حبه ويفضح فيها مشاعره!

«سوف يذهل الناس لو عرفوا قصتنا»

* * *

امضيت بضع ساعات اقرأ خطاباتك. من أول خطاب كتبته لي إلى آخر خطاب وصلني منك حتى الآن. كنت اقلب صفحات قصة حبنا، صفحة وراء صفحة. دقة بعد دقة. نبضة اثر نبضة. حين وصلت إلى آخر خطاب عدت ابدأ قراءة أول خطاب من جديد. كررت هذا عدة مرات. شهدت مولد سعادتي

وهنائي. رأيت موكب حبك يدخل قلبي. موكب ملكة في طريقها إلى العرش. تسيرين اليه ناصبة القامة. رافعة الهامة، في ثوب ازرق ذي تضاعيف كثيرة. ينسحب ذيله الطويل. ويحمل هذا الذيل كل الذي احب وتحبين.. لم أشعر أبداً انك تسللت إلى قلبي. بل تصورت ان المدافع اطلقت كي تعلن مقدمك في هذا اليوم المشهود. لم نكن نرتكب جريمة في الخفاء، وانما كنا نتوج حياتنا اضع قلبي فوق هامتك، وأتوجك ملكة على حياتي.

لم احس في حياتي كما احس اليوم. انا أعرف ان قلبك اصبح مملكتي. وعقلك اصبح امبراطوريتي. ولا تدهشين انني احكم هذه الأمبراطورية وبيني وبينها هذه المسافة البعيدة. كان ملك انجلترا يقيم في لندن، وهو في الوقت نفسه امبراطور الهند! وإذا كان لكل انسان هدف يجب ان يموت من اجله، فيجب ان يكون للإنسان امرأة يعيش من اجلها. يحب الحياة لأنها فيها. يحلم ليصل اليها. يكافح من اجل سعادتها وهنائها. قبلك كنت أنظر إلى السماء فأرى فيها ثقوباً صغيرة، واليوم اتطلع إلى هذه الثقوب فأجد انها النجوم. كنت اطل من نافذة زنزانتي فلا أرى سوى القضبان. واليوم لم أعد أرى القضبان أصبحت لأول مرة أرى ما خلف القضبان. اصبحت مراهقاً من جديد. انا الذي لم تكن في حياتي سنوات مراهقة. اتصور احياناً لو كان معي تليفون في زنزانتي لطلبتك كل خمس دقائق. لو كان عندي سيارة لطفت بها حول دارك ورحت ادق الكلاكسون بجنون. ومع ذلك اشعر كأنني احدثك كل خمس دقائق في تليفون بغير اسلاك، اطوف حول بيتك، طائراً في الجو وليس راكباً في سيارة. وكلما قرأت خطاباتك اعرف انك سعيدة بحبي وانني استطعت ان اغير حياتك كلها. ولهذا أحس بهناء لم احس به في يوم من ايام حياتي.

وانا اشبه بشمعة منطفئة في ليل طويل. في عالم المجهول. فإذا جاء خطاب منك اضاء الشمعة. واختفى الليل. وعلى ضوء هذه الشمعة أعود فأرى جمال الحياة. كانت لعبتي الصمت قبل أن تجيئي، فلما جاء حبك علمني الكلام. وكانت زنزانتي موحشة كالقبر. اهيم فيها باحثاً عن ثقب يدخل منه الضوء والهواء.

ثم جئت انت فملأت الزنزانة بنورك وضوئك. وتحطمت قضبانها وانفتح بابها واصبحت اشعر انني ما دمت لا استطيع ان أخرج من الزنزانة إلى الدنيا، فقد جئت انت بالدنيا وادخلتها إلى زنزانتي! كانت عندي اماني ثم ماتت. فالأماني كالزهور تحتاج إلى النور والهواء والماء. ثم جئت لي. فبعثت هذه الأماني من الموت. الجدار الأصم يسمع همساتي. حديد القضبان ذاب وانهار تحت انفاسي، استطاع حبك ان يجعل من هذا الجحيم جنة ونعيماً.

الحب هو جرح في قلوبنا. وانت الجرح الذي احبه. فقد كان فيه شفائي وهكذا اصبحت صباحي عندما استيقظ من نومي، واصبحت حلمي عندما اغمض عيني لانام. وبين اليقظة والنوم اجدك امامي. لا تفارقيني لحظة واحدة. اشعر انني اعيش في عالمك. اراك تتحركين في خيالي. اشهدك في ملابس النوم وفي ملابس المنزل وفي ملابس الخروج. اجلس معك على حافة فراشك وانت تتناولين قهوتك وتدخنين سيجارتك. ارى صورتك في دخان كل سيجارة، ودائرة ترسمني وتكتب اسمي! اعرف انني اعيش معك يومك وليلك. تحدثينني بغير صوت. وتتصورين انني اضحك معك إذا ضحكت، واعبس معك إذا عبست، أشاركك كل فكرة، واقرأ كل خاطر يمر بمخيلتك! الحب يعوضنا عن الجناحين اللذين نطير بهما إلى من نحب. يعوضنا عن التليفون الذي ينقل اصواتنا. يعوضنا عن الاحلام لانه الذ احلام الحياة!

الايمان في القلوب

ايماني بالله قوي، المؤمنون يلتقون بالله خمس مرات كل يوم، انا التقي بالله مع كل نبضة من نبضاتي. كل دقة في قلبي هي صلاة إلى ربي. اعبد الله على طريقتي، اعبده بأن أحب مخلوقاته. امد يدي للساقطين على أرض الحياة، اساعدهم على الوقوف. اساعد كل مظلوم، اقف بجوار كل بريء. اسامح الذين اساءوا إلي اعاون الذين لا اعرفهم. احمل على رأسي همومهم. اجفف دموعهم.

اضمد جراحهم احاول ان اعيد البسمات إلى شفاهم الحزينة. كل واحدة من هذه الأشياء هي صلاة مستقلة. هي وسيلتي لشكر الله على كل ما فعله من اجلي.

الإيمان في القلوب، وليس على شفاه المصلين فقط، مسجدي هو قلبي. لا أعبد الله خوفاً وإنما اعبده حباً. لا احمده بلساني، وانما احاول ان اساعد المعذبين من مخلوقاته. وهذا يشعرني دائماً انني قريب من الله. فإنني اتصور انني رأيت الله اكثر مما رآه غيري. رأيت معجزات في غير عصر المعجزات. احسست بيده تحمل لي كوب الماء عندما حرموني من الشرب بضعة ايام في شهر يوليو في الأيام الأولى من سجني. رأيت نور الله عندما احاطوني بالظلم والظلام. وقف الله بجانبي عندما تخلت عني الدنيا. منحني الصبر عندما هزت فوق رأسي مطارق اليأس ومعاول الاستبداد.

كل يوم من ايامي هو شهر رمضان. اصوم فيه عن ايذاء الناس. اصوم فيه عن اذلال الضعفاء، والسجود امام الأقوياء. فاطمئني يا حبيبتي على ايماني لولا هذا الإيمان القوي لما استطعت ان أبقى حتى الآن على قيد الحياة. والمعجزة التي حدثت في حبنا لا يمكن ان تكون من صنع البشر. هي شيء الهي. فأنا مدين لرحمة الله لأنه غمرني بحبك، ومتعني بالسعادة معك، وحول جحيم وحدتي إلى نعيم بين ذراعيك. احببت فيك شعورك بالام الناس. وحملك لهمومهم لولا هذا الاحساس المرهف لما سمعت اصابعي وهي تدق برفق على باب قلبك اللمسات القوية في قلبك التقطت همسات قلبي. لولا هذه الرقة التي فيك. لولا هذا الحنان الدافق وهذا الإحساس المرهف لما فتحت لي قلبك على مصراعيه منذ أول دقة على بابه! لولا هذه الخاصية العجيبة فيك لمازلت حتى الآن واقفاً انتظر امام هذا الباب المغلق. ادق عليه فلا تسمعينه، واناديك فلا تفتحين الباب. كلما أمسكت قلمي لاكتب اليك احسست ان اصابعي تعانقك انت ولا تعانق القلم. وتطل من الورق الأبيض صور كثيرة لك. صور رأيتها. وصور لم ارها بعين، وانما رأيتها بخيالي. على سطر اجدك واقفة وعلى سطر اجدك جالسة. في ركن من الورقة ارى عينيك الحالمتين، وفي ركن آخر اجد قوامك الجميل. الحروف تحاول ان ترسمك

فلا تستطيع. خيالي اقوى من عباراتي. صورك على السطور البيضاء تناديني شفتاك تشد الكلمات من شفتي فتخرج حارة كالقبلات. وجهك يحاصرني في كل مكان اطل عليه. انت على السقف والجدران. فوق الكرسي وفوق المائدة. فوق السطور وبين السطور. اصبحت اشعر ان كل شيء اكتبه هو لك ومن خلالك، كل خطاب اكتبه موجه اليك. كل قبلة ابعثها إلى شخص عزيز ارسلها اليك كل ما اكتبه لغيرك مكتوب أولاً لك انت..

في بعض الساعات أحاول ان اتذكر ماذا كنت افعل قبل ان تدخلي إلى قلبي فلا اذكر كيف كانت حياتي بغيرك، كأنه لم يكن لي حياة قبلك. كأنني ولدت يوم احببتك. احاول ان اتذكر كيف كنت امضي وقتي قبل ان امضي وقتي في التفكير فيك والكتابة اليك وقراءة ما تكتبين لي وانتظار خطاباتك، فادهش كيف كانت حياتي اشبه بالصحراء، كيف احتملت هذه الصحراء المدهشة الجرداء، قبل ان يزرعها حبك ويملأها وجودك. كل خطاب من خطاباتك اصبح كالشجرة استظل بها في هذه الصحراء كل كلمة من كلماتك تروي هذه الأشجار وتحولها إلى واحة. كنت ضالاً في هذه الصحراء، ثم اعطيتني شعاع قلبك لاهتدي به. كنت اعمى وابصرت. كنت نقياً كالرماد فبعث حبك الحياة في الرماد فتحول إلى حياة!

* * *

في ساعات الضنى اتصور انني ظلمتك بحبي! العشاق يمنحون حبيباتهم القبلات، وانا امنحك الحرمان. يعطونهن الهناء، وانا لا اعطيك إلا العذاب!

أنت في حاجة إلى الراحة، وأنا اتعبك. انت في حاجة إلى الحنان، ويدي قصيرة تصطدم بالقضبان والأسوار ولا تصل اليك. انني ابيع الأحلام لعيون مفتوحة.

ثم اعود لنفسي واتصور انك اسعد بهذا الحب الذي يعذبك، مما كنت قبل ان تعرفي حبي. واتصور ان طعم الدموع في شفاهنا الذ من طعم الضحكات في

شفاه سوانا. اننا ندفع ثمناً غالياً لحب عظيم. وكلما ارتفعت قيمة الشيء زاد الثمن الذي ندفعه فيه.

احس بتنهيداتك من بعيد تدوي في اذني كأنها الوعد. اشعر بدموعك وهي تسقط على خديك. انها تحرق شفتي. احاول ان امسحها بقبلاتي. افهم تماماً ان هذا الفراق يعذبك ويشقيك. لأنه يعذبني ويشقيني. وهذا هو قدرنا كتب علينا ان نشرب كل دموع الدنيا لنصل إلى قطرات من رحيق اللقاء. كتب علينا ان نتحمل العذاب الذي لا يطيقه بشر. لنستمتع بالهناء. كتب علينا ان نمر بنار الجحيم في طريقنا إلى النعيم!

وانا مؤمن بقوة ارادتك، وبقوة حبك. هذا كفيل بأن يجعلك تتحملين كل هذا الهوان من اجل حبنا. ولولا هذه القوة. مضافاً اليها قوة شخصيتك لما تحرك قلبك بحبي. القلب الكبير لا يفتح ابوابه لهؤلاء الاقزام! ولولا هذه القوة لما اخترت الحب الصعب. الحب المستحيل، عندما احببتك عرفت كل ما ينتظرني من عذاب الشوق والم الفراق ونار الحرمان. ولكنني شعرت ان حبك يساوي كل هذا واكثر منه. واحياناً اتصور ان كل ما ادفعه من عذاب هو قليل قليل قليل ثمناً لهذا الحب الكبير.

لحظات لقاء خاطفة. كلمة حلوة منك، همسة فيها رمز في خطاب من خطاباتك تنسيني آلام السجن وعذاب الفراق وكل حرماني. لم اندم يوماً انني احببتك. كل ندمي انني لم احبك قبل الآن بسنوات طويلة. ومن اجل هذا اتعجل المستقبل لاعرف الماضي. من عيوبي انني رجل واقعي. واقعي جداً. لا اعرف كيف استر الحقيقة ولا أعرف كيف ازينها.

عندما تعرف الدنيا قصتنا سوف تذهل وتعجب.. عندما تعلم ان امرأة تعيش في الحرية احبت مسجوناً محكوماً عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة مسجون عمره خمس وخمسون سنة، وولاة الأمور يؤكدون انه لن يخرج من السجن إلا بعد ان يمضي المدة كاملة وهي خمس وعشرون سنة.. ومعنى ذلك انني لن أخرج من

السجن إلا في ٢١ يوليو سنة ١٩٩٠.. وفي يوم الافراج سأكون قد بلغت ستة وسبعين عاماً.

وسوف يقول هؤلاء الناس هل من المعقول ان تعرض شابة مصرية نفسها للحراسة ومصادرة الأموال وللسجن والاعتقال من أجل رجل لن يخرج من السجن إلا بعد ٢١ عاماً!

وسوف تذهل الدنيا اكثر واكثر عندما تعلم انني لم ارك طول حياتي مرة واحدة إلا في السجن وبعد اربع سنوات. امضيتها في السجن.

وسوف تذهل الدنيا اكثر واكثر عندما تعلم انك امضيت في بيتنا شهراً كاملاً مع والدي في عام ١٩٤٧ وشهراً كاملاً في عام ١٩٤٨ وانني لم ارك مرة واحدة خلال هذين الشهرين، لأنني كنت اتناول افطاري وغدائي وعشائي في مكتبي عندما كانت، اخبار اليوم في سنواتها الأولى. ولم اكن اعود إلى بيتي إلا بعد منتصف الليل وانت نائمة. وكنت اعود اليها في الصباح المبكر وانت لا زلت نائمة ايضاً!

ولكن القدر هو مؤلف روائي واسع الخيال اكثر من كل مؤلفي القصص والروايات.

بقيت ورقة واحدة

انتهى البلكنوت، بقيت فيه ورقة واحدة. هي هذه الورقة رأيت ان تكون آخر ورقة فيه لك، كما كانت أول ورقة لك يبدو ان كل شيء اصبح لك. استطعت ان تجعلي من حبك آخر حب لي وأول حب لي استطعت ان تمحي الماضي. يبدأ الماضي يوم احببتك كأنني ما احببت ولا عشقت قبلك. هذا الحب حول النساء جميعاً إلى اشباح وبقيت انت الحقيقة الواحدة الثابتة في حياتي. لأول مرة اجد في امرأة واحدة كل نساء العالم! غيرنا احتاجوا إلى لقاءات كثيرة وليال طويلة ليصلوا إلى واحد في المائة من هذا الاندماج الكامل بيننا. لم ابذل أي

مجهود لأصنع ذلك. وجدتك بين يدي تتحولين وتتشكلين إلى ان اصبحت بهذه الصورة الرائعة. كأنك لحن عظيم لم يضع احد موسيقاه، أو قصيدة خالدة لم ينظمها شاعر، أو لوحة رائعة لم يرسمها رسام. ولكن الحب الكبير هو اعظم موسيقى وابلغ شاعر واقدر فنان، هذا الحب جعل تفاهمنا سهلاً وسريعاً، كأننا امضينا كل حياتنا معاً ولم نفترق ابداً.. وجدت نفسي احبك، ووجدتك تحبينني، وإذا عدنا للكلام الذي تبادلناه فاننا سوف نكتشف اننا لم نكن في حاجة إلى كلام. نطقنا كلمة «احبك» في لحظة واحدة، ومنذ تلك اللحظة اصبحنا ننطق كل الكلمات في نفس اللحظة. وهذه هي المعجزة يا حبيبتي!

* * *

ها انا جالس انتظرك، لا احمل ساعة، دقات قلبي هي ساعتي، سوف اراك بعد لحظات، سوف تمر اللحظات كأنها البرق، ليت الزمن يتوقف ونحن معاً، كما يتوقف وانت بعيدة عني، ليت ساعة اللقاء لا تنتهي ابداً. تعيش. عمرنا كله!

انني لا اخجل من هذا الحب، وكيف اخجل من اعظم شيء في حياتي. متى يجيء اليوم الذي نكون فيه وحدنا بلا رقباء ولا حراس؟

غريب ان تصبح حريتي هي امرأة! لم اعد أريد شيئاً أو اطمع في شيء أو احلم بشيء.. إلا هي!

غريب ان تصبح هذه المرأة هي دنياي واحلامي. هي الجرح وهي الشفاء القرب منها هو القرب من الجرية والبعد عنها هو البعد عن الحرية. كأن القضبان لم تدق حولي. وانما دقت في قلبي. وانا أريد ان انتزع القضبان، لا استطيع ان اضمها إلى صدري بغير ان اذلها! لأنني اشعر وانا اعانقها، والقضبان مغروسة في صدري، كأن هذه القضبان تؤلمها، وهي تضم صدرها في صدري!».

والكاتب الكبير مصطفى أمين هو أكثر الكتاب اتهاماً بأنه «دون جوان»

الصحافة المصرية وان علاقاته بالفنانات كثيرة فقيل انه قد تزوج من الفنانة شادية بل ان عبد الناصر وجه اليهما الدعوة معاً لحضور حفلة في رئاسة الجمهورية ونشرت له المجلات صورة مع ليلى فوزي بملابس الزفاف. وانه كانت له علاقة مع تحية كاريوكا هتفوا ضدها امام مبنى اخبار اليوم ولم تسلم مديحة يسري من تلك العلاقات فقد دخل العقاد يوماً على مصطفى أمين في مكتبه غاضباً متوعداً بسببها!.. وحتى الفنانة الرقيقة فاتن حمامة غضبت وسالت دموعها على خديها لأن مصطفى أمين كتب يقول للقراء اكتب اليكم من سرير فاتن حمامة!

بل ان غراميات مصطفى أمين امتدت إلى داخل القصور الملكية.. واصبح غرامه «ملكياً» فقد خرجت الشائعات ذات يوم تؤكد وجود علاقة غرامية بينه وبين الامبراطورة فوزية امبراطورة ايران السابقة واكد البعض انه سيتزوج من الامبراطورة وهذا هو سر طلاقها من الشاه بل الأكثر من ذلك ان الملك فاروق دخل فجأة إحدى غرف قصر عابدين فضبطه جالساً مع الامبراطورة يشرب الويسكي فجرى وراءه وضربه ومنعه من دخول القصر!

الا تكفي كل هذه الحكايات الغرامية لأن يطلق على مصطفى أمين دون جوان الصحافة المصرية!

ولكن كاتبنا الكبير ينفي عن نفسه هذه التهمة الظالمة.. الباطلة (على حد تعبيره) ويقول:

الذي حدث في حكاية ليلى فوزي ان سألوا في حديث صحفي الفنانات: من تحبين ان تتزوجي من الصحفيين؟.. واحدة قالت توفيق الحكيم والأخرى قالت كامل الشناوي وثالثة قالت الصاوي واحدة قالت: أتزوج مصطفى أمين وكانت ليلى فوزي وكانت حديثة العهد بالسينما وكانت جميلة جداً..ونشرت صورتها بملابس الزفاف بجانب صورتي بعد ان عمل لها المصور «تروكاج» جمع بينا في الصورة..

الصورة نشرت عام ١٩٤١ وتزوجت عام ١٩٥٠ ثم فوجئت بواحد ابن حلال قص الصورة وبعثها لزوجتي.. لكنني عثرت على المجلة وقدمتها لها!.

اما شادية فهي صديقة وكانت واقفة بجانبي حين منعوني من الكتابة في فترة من الفترات وكان هناك اشاعة انني متزوج من شادية! بل اكثر من ذلك ان الرئيس جمال عبد الناصر بعث لي بدعوة كتب عليها «مصطفى أمين وحرمه»..

فقلت لعبد الناصر: مين حرمه.

فقال لي: شادية.. انت متزوج من شادية!

قلت له: انني لم اتزوجها!

قال لي: لا.. مكتوب في التقرير انك تزوجتها!

والحقيقة انه كان بالاتحاد الاشتراكي مكتب للشائعات مكلفاً باطلاق الشائعات عليّ! اما تحية كاريوكا فلقد شهدت في قضية احمد سالم وكتبت عليها اخبار اليوم واثنت عليها وحدث في جنازة أمين عثمان وبعد ان شيع الوفديون الجنازة.. مروا من امام اخبار اليوم وهم يهتفون: يسقط مصطفى أمين صديق كاريوكا!

اما بالنسبة لمديحة يسري فالعقاد دخل على في مكتبي في الاهرام غاضباً وساخطاً وقال لي:

— انت ازاي تعرف البنت اسمها: عيوشة خليل!.

(فلم تكن تعرف مديحة يسري بعد باسمها السينمائي)

... دي البنت إلي انا بحبها.. ازاي ده انا ضبطتها

.. دخلت عليها لقيتها نائمة في السرير وبتقرأ حاجة

وبتضحك.. ولما شافتني خبتها تحت السرير!

فوجدت انها تقرأ يومياتك!

فقلت له: يومياتي ساخرة!

والحقيقة انني لم اكن قد رأيتها بعد.

اما حكاية فاتن حمامة فقد حدث ان ذهبت في أوائل الستينات إلى مستشفى الدكتور عبد الله الكاتب الجراح المشهور لإجراء جراحة واختار لي الدكتور غرفة في المستشفى واشار الى سرير صغير في وسط الغرفة وقال لي:

ان فاتن حمامة كانت هنا منذ بضعة ايام واجرت جراحة ناجحة.

ورقدت في سرير فاتن فوجدته صغيراً دقيقاً فكان نصفي في السرير ونصفي خارج السرير!

فاتن صغيرة الحجم وانا ضخم الحجم.. كان من المستحيل علي ان اتقلب في هذا السرير فأي حركة فيه اجدني واقعاً على الأرض وكتبت مقالاً ساخراً اصف هذا السرير «النونو» وجعلت عنوان المقال «اكتب لكم من سرير فاتن حمامة» ونشرت المقال في مجلة «الجيل الجديد».

وفوجئت بفاتن حمامة تدخل إلى مكتبي والشرر يتطاير من عينها! لم ارها حتى في الأفلام بمثل هذه الثورة والغضب وقالت لي:

— كيف تشوه سمعتي؟ انني حافظت على سمعتي طول حياتي ولم يخدشها انسان!

كيف تدعي كذباً انك نمت معي في سرير واحد؟

وسألتها مذهولاً: هل قرأت المقال؟

قالت: لا قرأت العنوان!

قلت لها ضاحكاً: اقرئي العنوان كله ثم استأنفي ثورتك!

وقرأت فاتن المقال واغرقت في الضحك!

اما حكاية الامبراطورة فوزية فالحقيقة انني سبقت صحف العالم بنشر طلاق الامبراطورة وعودتها إلى مصر.. ولكن جريدة صغيرة في مصر نشرت ان هناك قصة غرام بين مصطفى أمين والامبراطورة فوزية..

رشحتها الاشاعة لكن الحكاية لا أساس لها من الصحة لكن لا أخفي عليك عملت خدمة لأخبار اليوم.. فالناس كانوا يحبون ان يقرأوا لحبيب الامبراطورة !

لقد خرجت اشاعات كثيرة.. انني احببت الكثيرات.. وتزوجت الفنانات والحقيقة انني لم اتزوج حتى الآن ولا فنانة !

إذا غضب عبد الناصر قصف العمر.

وإذا غضب السادات قصف القلم.

وإذا غضب مبارك اكتفى باللوم !

قبل ايام من استقالة وزارة كمال حسن علي وتشكيل الوزارة الجديدة برئاسة د. علي لطفي كتب مصطفى أمين «فكرة» في سبتمبر عام ١٩٨٥ عن منصب الوزير في مصر.

وكيف انه اصبح يتطلب التضحية والاحتمال وشروط كثيرة ينوء بحملها أي انسان.. وان منصب الوزير اصبح اشبه ما يكون بالخازوق حيث كتب يقول : —

عزيزي الوزير الجديد..

لا اقول لك «مبروك» وانما اقول قلبي معك، فلم يعد منصب الوزير في بلادنا منصباً يستحق التهنئة والتبريك.

انه خازوق شاء قدرك ان تجلس فوقه.

لم يعد للوزير الهيل والهيلمان الذي كان له في الماضي، كل ما بقي له من ابهة هو كابينه في المنتزه، الوزير في العصر الديمقراطي هو بشر، لا إله ولا نصف اله! نستطيع أن ننقده ونعارضه ونهاجمه، نستطيع ان نسأله ونستجوبه، مرتبه اقل كثيراً من مرتب بعض رؤساء مجالس الادارات، ليس مسؤولاً عن نفسه فقط. بل هو مسؤول عن كل كلمة تقولها زوجته، أو كل تصرف يقوم به ابناؤه، أو كل صفقة يعقدها احد انسبائه أو احد اقاربه، الاضواء مسلطة عليه من كل مكان، الصحف تتابع اخباره.. لا يعرف الاجازات ولا العطلات، ليست له مواعيد عمل محددة، اشبه باطباء الولادة يستدعون في منتصف الليل إذا كانت الولادة عسيرة، وما اكثر الولادات العسيرة في عالم النفوذ والسلطان!

احذر ايها الوزير الجديد من جماعة السماسرة الذين يبيعونك ويشترونك وانت جالس في مكتبك لا تعرف ماذا يصنعون بك — ، هؤلاء الذين يتزلفون اليك وينافقونك ويمدحونك بالحق والباطل ، ويجلسون فوق اكتافك ، ويدعون انهم محاسيبك وانصارك واصدقاءك .

احذر ان تفتح بابك لنصاب أو افاق أو وسيط او سمسار ، هؤلاء هم الذين يلوثون الحكام الشرفاء ، وانت في هذا المنصب لست حراً في اختيار اصدقائك ، وكم من نصاب استغل علاقته بوزير لعقد الصفقات وقبض العمولات وشوه سمعة الوزير الطيب القلب الذي لم يعرف اننا نرى صورة الوزير في حاشيته ، ولا يمكن لوزير نظيف ان يحيط نفسه بلصوص .

احذر ايها الوزير الجديد ان تلغي قراراً للوزير القديم قبل ان تدرسه وتبحثه ، ولا تصدق الموظف الذي يطعن لك في الوزير القديم ، فهذا الموظف نفسه سوف يطعنك ويشهر بك عند الوزير الذي سيخلفك في المقعد الذي تجلس عليه الآن ، وافتح ابوابك للناس ولا تجلس في برج عاجي .

واعلم انك في منصبك هذا خادم لهذه الأمة لا سيدها ، فقف مع الشعب على نفس الأرض ولا تتعال عليه .

واعلم ان قوتك من تأييد هذه الأمة ، فهي وحدها القادرة ان ترفعك أو تهوي بك .

وضع استقالتك في جيبك ، فهذا منصب زائل لم يدم لأحد ، ولو دام للذين سبقوك ما جاء اليوم اليك .

احذر ايها الوزير الجديد ان تعين اقاربك او تساعد اصهارك أو تملأ وظائف وزارتك باصدقائك وانصارك .. فالوزارة ليست ضيعتك انما هي ملك الشعب كله . والمناصب للاكفاء لا للمحاسيب والأقرباء. المحسوبية والاستثناءات هي القبور التي يدفن فيها الوزراء !

ايها الوزير الجديد ، لا تتكلم كثيراً ، اجعل اعمالك هي التي تتكلم ، واحذر

الوعود الكثيرة فهذا شعب واع لا يمكن خداعه او الضحك عليه، صارحه بالحقائق وعندئذٍ سوف يحبك ويحترمك.

الوزراء الصادقون بقوا فوق الرؤوس والوزراء الكذابون ديسوا بالاقدام!»

وبعد كتابة هذه المقالة بايام استقالت وزارة كمال حسين علي وبدأ د. علي لطفي في تشكيل الوزارة الجديدة. ولكن كلما دعي وزير إلى الدخول في وزارته رفض!

وتكرر هذا الرفض عشر مرات!

عشرة وزراء رفضوا!

فلما سأل الرئيس مبارك.. ولماذا يرفضون قيل له:

لأن مصطفى أمين كتب من يومين يقول:

ان الوزير سوف يجلس على خازوق!

وان منصب الوزارة اصبح مصيبة!

وان مصطفى امين كانت مقالته لها تأثير خطير بحيث انه اشاع الخوف في قلوب من لهم صلاحية الوزراة!

وبعد ذلك بعشرة ايام القى الرئيس حسني مبارك خطبة في مدينة رشيد يوم ١٩ سبتمبر ١٩٨٥ اشار فيها إلى «فكرة» مصطفى أمين دون ان يفصح عن اسمه وجاء من ضمن خطابه:

«بقي دي كلمة تتقال من رجل كبير؟ بقى بالذمة بلدنا اللي احنا بتقول قيم ومبادئ اقول خازوق! واضاف الرئيس من ضمن كلمته: «يعني مش عيب.. هو ذنبه اللي جه بيتولى مسؤولية في اصعب الأوقات اللي بنمر بيها في بلدنا؟ اقول حرام عليكم وما يصحش لولا انه رجل كبير انا كنت اتكلم كلام قاسي لكم ده رجل قد ابويا. باقول له ما يصحش مش ها اقول له عيب.. ها اقول له ما يصحش ما يصحش».

ثم كتب مصطفى أمين في اليوم التالي «فكرة» رداً على خطاب الرئيس حسني مبارك قائلاً :

القى الرئيس حسني مبارك خطاباً في رشيد. قال فيه، اصعب ما يمكن يا اخوان في بلدنا الاقي وزير.. عندنا كفاءات كثيرة لكن علشان تجيب واحد يرضى يشتغل وزير في بلدنا عملية صعبة. ده يبقى بيضحي بالكثير وفيه من الوزراء الموجودين كان بيقبضوا آلاف برة. بيشتغلوا برة في حتة. ولكنهم ضحوا حرجاً مني.. بعضهم مكسوف مني ما رضيش يقول لا. حبهم في بلادهم. اقوم ابص الاقي واحد راجل كبير. سنه كبير. خبرته كبيرة. وعيه كبير. ابص الاقية يقول ايه؟ انا ما بقولش للوزير مبروك. انما اقول له قلبي معك. لأن منصب الوزير في بلدنا لا يستحق التهنئة أو التبريك. انه خازوق شاء قدرك ان تجلس فوقه. بقي دي كلمة تتقال من رجل كبير؟ بقي بالذمة بلدنا اللي احنا بتقول قيم ومبادئ اقول خازوق؟ يعني يا وزير ما تمسكش وزير.. ونعملها بقي جماهيرية ولا حكومة ولا حاجة. امال ايه بس يعني؟ الديمقراطية دي امر لا بد منه ولا مفر منه لأنه احسن الاساليب ولكن لما اكون انا رجل كبير ذو خبرة اقول على قيادات البلد عندي انت قاعد على خازوق فوقه. يعني مش عيب. عيب. هو ذنبه اللي جه بيتولى مسؤولية في اصعب الأوقات اللي بنمر بيها في بلدنا؟ اقول حرام عليكم وما يصحش. لولا انه رجل كبير انا كنت اتكلم كلام قاسي. لكن ده رجل اد ابويا. يا قول له ما يصحش مش ها اقول له عيب.. ها اقول له ما يصحش..

وانني اشكر رئيس الجمهورية على هذه التحية. ففي الديمقراطية من حق الكاتب ان ينتقد الحكومة. ومن حق الحكومة ان تنتقد الكاتب. فإذا طالبنا بان يكون لنا وحدنا نحن الكتاب حق النقد. فمعنى ذلك اننا نطالب لأنفسنا بديكتاتورية تقول دون سوانا ما نشاء وما نريد. كلا نحن نرفض ديكتاتورية الكتاب والصحفيين كما نرفض ديكتاتورية الرؤساء. ونحن نرحب بأن يقول رئيس الجمهورية انه لا يضيق بالنقد «النقد على عينا وراسنا. انا ما بازعلش من النقد ولا يضيق صدري بالنقد اطلاقاً» ونرحب بقوله انه يؤمن بالديمقراطية والحرية

وحقوق الإنسان. ونتمنى ان يوضع كل هذا صراحة في الدستور. لكي يشعر الجميع ان حقوق الإنسان هي حق للشعب لا منحة من الحاكم. وإن هذه الحقوق خالدة لا تمنح ولا تسترد. وان الأمة مصدر السلطات فعلاً لا قولاً ولا شعاراً.

وقد قلنا ان من حق الشعب ان يعلم لماذا استقال كمال حسن علي من رياسة الوزارة ولماذا جاء الدكتور علي لطفي؟ وقد اجاب الرئيس على هذا التساؤل. وقال ان من عادته انه إذا شكل وزارة ان يسأل كثيرين دون ان يدروا ماذا سيفعل. عنده احساس بنبض الشارع انه لا بد من التغيير. وتغيير يدخل عناصر شابة لدفع عملية التنمية ولأسباب كثيرة وقال «وقررت في نفسي ان اسأل من غير ما حد يعرف. انا بقي لي ثلاثة أو اربعة شهور بفكر في العملية دي» ولو ان بعض الصحف بتقول ان فيه تغيير وزاري بيحسوا من الناس. لكن انا لم اقل لأحد ولا اقرب المقربين. ولا مخلوق عرف حتى رئيس الوزراء معرفش إلا يوم التعديل الصبح.

وهذه معلومات هامة كان يجب ان يعلمها الشعب. ومنها عرفنا ان تغيير الوزارة بدأ التفكير فيه من ثلاثة او اربعة شهور. وان رئيس الوزراء لم يعلم بالتعديل إلا صباح يوم التعديل.

نحن نرحب بنقد رئيس الجمهورية للصحافة. ومعنى ذلك ان الحاكم إذا غضب تكلم. ولم يحطم الاقلام او يكمم الافواه او يعلق المشانق او يغلق الصحف وهذا شيء يطمئن الشعب.

ولقد اقترب مصطفى أمين من الملوك قبل الثورة والرؤساء محمد نجيب وجمال عبد الناصر والسادات وحسني مبارك.

ولقد سألت الكاتب الكبير مصطفى أمين.. قائلاً: غضب منك عبد الناصر فسجنك وغضب منك السادات فمنعك من الكتابة وغضب مبارك فعاتبك في خطاب على الشعب.. ما هو الفرق بين الثلاثة؟ وهل هذا في رأيك يمثل تدرجاً نحو الديمقراطية؟!

فاجاب الكاتب الكبير قائلاً :

الملك فاروق عندما كان يغضب من مقالة لا تعجبه مثلما حدث بالنسبة لمقالة « لماذا ساءت العلاقات بين الوفد والقصر» على ان الوفد لا يزال معتقداً حتى الآن على انها مقالات ضد الوفد. لكن الملك كان يعتقد اننا قللنا من قدره ومقامه العالي بهذه المقالة.. والملك فاروق عندما يغضب كان يقول :

نحن لم نوجه الدعوة إلى مصطفى وعلى أمين لحضور حفل توزيع الجوائز على..

ثم يحدث ان تخرج صحف المعارضة في اليوم التالي وهي تقول :

مصطفى وعلى أمين مغضوب عليهما !.. الملك رفض مقابلتهما !

او ان الملك فاروق يقدمني إلى المحاكمة بسبب «العيب في الذات الملكية» ويصدر النائب العام امرا بحبسي فاتقدم في نفس اليوم بتظلم إلى القاضي فيفرج عني بكفالة ٥٠ جنيهاً !

او مثلما حدث حين قابلت الملكة ناريمان قبل اعلان زواجها من الملك فاروق — في الأسانسير في عمارة صيدناوي حيث كانت تتردد على خياطة اسمها «اندريه» وكنت ازور صديقاً لي يسكن في نفس العمارة.. وقلت لها :

— الملك كان يحتاج إلى سيدة كبيرة في السن من اجل ان ترشده.. وتفرمله !

لكن انتِ صغيرة ولن تستطيعي ان تفعلي شيئاً !

وقالت ناريمان للملك فاروق ذلك !

وامسك فاروق بالتليفون وقال لحسن يوسف نائب رئيس الديوان الملكي :

اغلق اخبار اليوم ! فقال — حاضر

وبعد قليل جاءت اليه ورقة مكتوب عليها : لا بد ان تغلق اخبار اليوم !

ولكن حسن يوسف اعتقد انها دعابة من الملك فوضع الورقة في جيبه ولم

يسلمها لرئيس الوزراء.

هذا هو الملك فاروق عندما يغضب.

اما محمد نجيب حين يغضبه مقال لا يقترب من المحرر او كاتب.المقال بل يأمر بالقبض على اصحاب الجريدة فقد حدث ان كتب الاستاذ موسى صبري مقالة عن عبد الرحمن المهدي باشا في مجلة آخر ساعة فغضب المهدي باشا من هذه المقالة واستتبع ذلك غضب محمد نجيب فأمر بالقبض على مصطفى وعلي أمين ووضعهما في سجن البوليس الحربي ولم اكن في ذلك الوقت رئيساً لتحرير آخر ساعة ولا كاتباً للمقال وإنما لأنني صاحب المؤسسة!

ولما قيل لمحمد نجيب لماذا فعلت ذلك؟

قال: من اجل تهدئة المهدي!

فقيل له: كيف انهما من لم يكتبا شيئاً عن المهدي.. ولا أحد منهما رئيس للتحرير.

وبسبب هذا الموقف اجتمع مجلس الثورة واصدر قراراً بهذه المناسبة بأن رئيس مجلس الثورة يصدر قرار الاعتقال بموافقة مجلس الثورة حتى لا يصدر قرارات منفردة!

اما عبد الناصر فإذا غضب على كاتب يقصف عمره.. يشنقه مثلما فعل مع سيد قطب.. اما السادات فإذا غضب من كاتب فهو يمنعه من الكتابة مثلما فعل معي فقد منعني من كتابة «فكرة» او ينقله من الجريدة إلى جريدة أخرى او ينقله إلى عمل غير صحفي اما مبارك إذا غضب من كاتب يشتمه في التليفزيون... مثلما فعل معي وكان في منتهى الأدب.

ولهذا إذا غضب عبد الناصر قصف العمر وإذا غضب السادات قصف القلم وإذا غضب مبارك اكتفى باللوم والعتاب.. وهذا يمثل في رأيي تدرجاً نحو الديمقراطية.



طفولة مصطفى وعلي أمين عام ١٩١٧



مصطفى امين وعلي أمين وقد وقف بينهما خالهما سعيد بك زغلول في شرفة بيت الامة.



علي أمين في بيت الامة في أواخر عام ١٩١٧ .



مصطفى أمين في بيت الامة في أواخر عام ١٩١٧.



مصطفى أمين وعلي أمين مع مربيتهما في منزل سعد زغلول بمسجد وصيف.



مصطفى امين وعلي أمين عند عودة مصطفى من أمريكا عام ١٩٣٨.



مصطفى أمين وعلي أمين وجلال الحمامصي ليلة صدور العدد الأول من جريدة اخبار اليوم في صالة التحرير يراجعون حروف العدد الأول ليلة ١٤ يونيو ١٩٥٢ وكانت معلقة فيها صورة اسمهان.



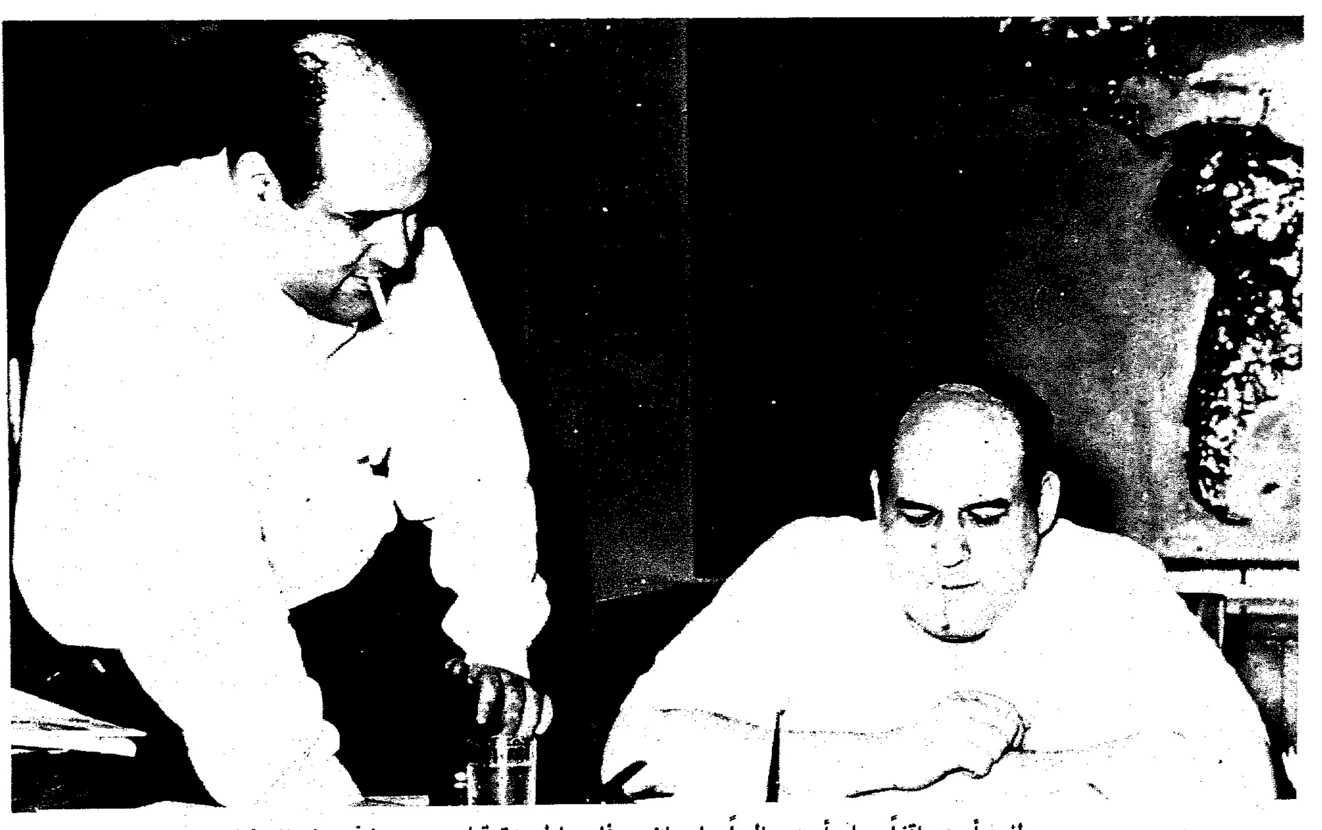
مصطفى أمين وعلي أمين يتكلمان في التليفون سنة ١٩٦٠.



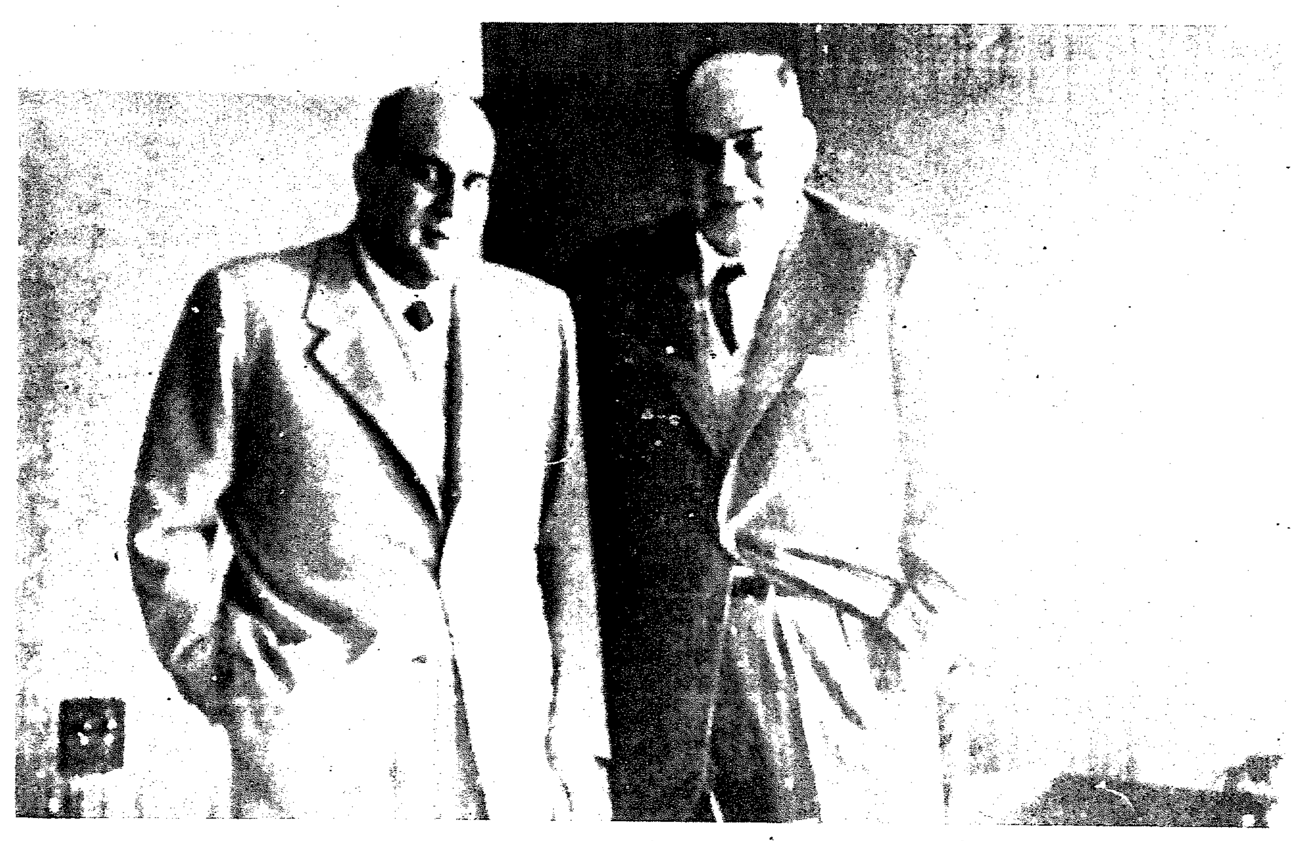
علي أمين ومصطفى أمين في ٢٤ يوليو ١٩٥٢ عقب قيام الثورة وتبدو العناوين من مانشيتات أخبار اليوم.



مصطفى أمين وعلي أمين في عام ١٩٥٢ في مكتب مصطفى أمين.



مصطفى أمين واقفاً وعلي أمين جالساً يراجعان بروفات الجريدة قبل صدورها في عام ١٩٥٢.



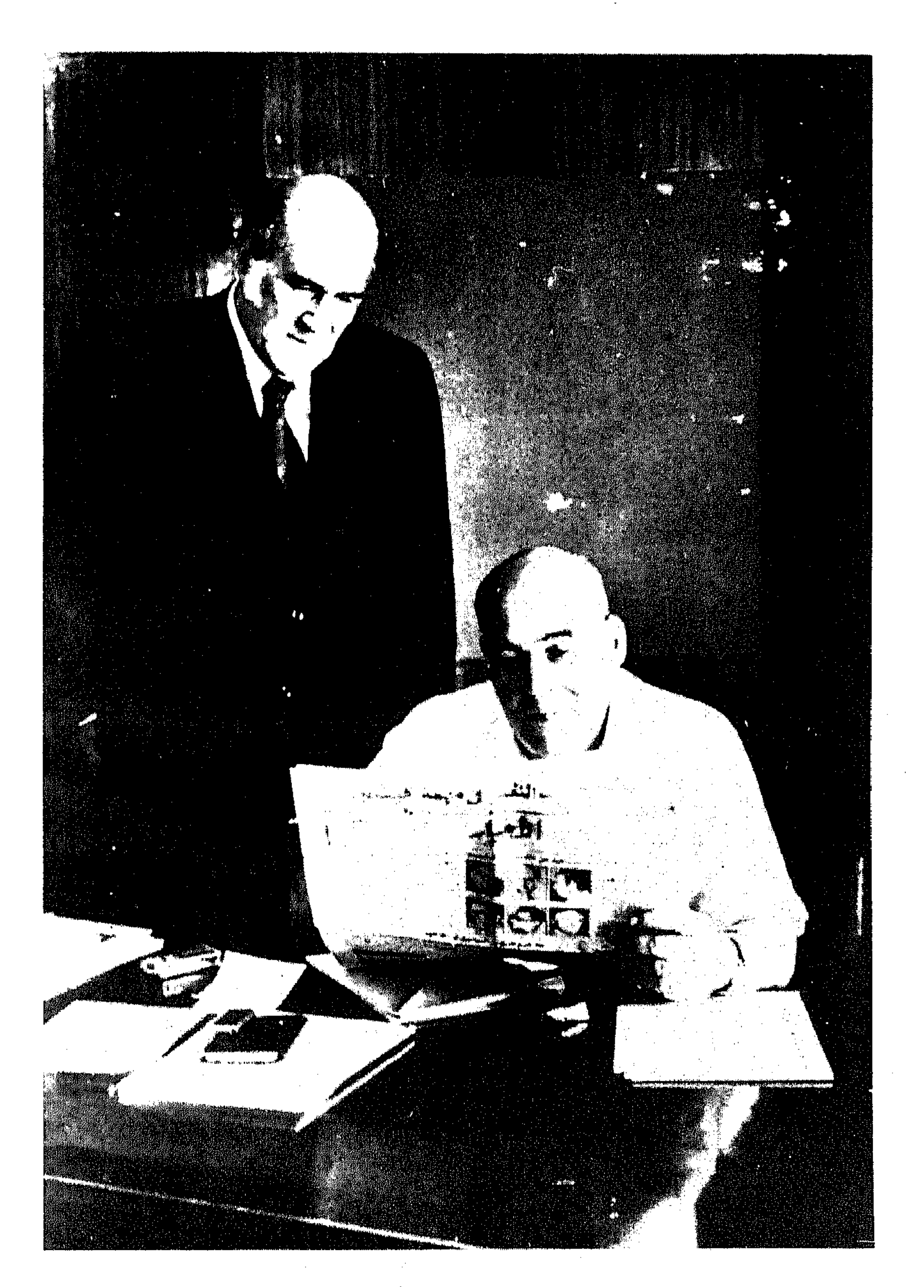
مصطفى أمين وعلي أمين في مكتب علي أمين في اخبار اليوم في يناير ١٩٥٦.



جمال عبد الناصر يتحدث إلى مصطفى أمين عام ١٩٦٣ .
وبعدها بعامين سجنه ٩ سنوات.



الفرحة تملأ الوجوه يوم الافراج عن مصطفى أمين في ٢٧ يناير سنة ١٩٧٤ في منزل مصطفى أمين.. علي أمين يتحدث في التليفون وهو يحتضن مصطفى أمين.



مصطفى أمين واقف وعلى جالساً في مكتبه ١٩٧٤.



مصطفى امين واقفاً.. وعلي أمين جالساً في مكتب علي أمين عام ١٩٧٤ في اعقاب تشكيلات جديدة من رؤساء تحرير الصحافة المصرية شملتهما معاً.



الكاتب الكبير مصطفى أمين يخرج عن صمته ويتحدث للمؤلف محمود فوزي لأول مرة عن حقيقة محمد حسنين هيكل واسرار تنشر لأول مرة عن علاقته بعبد الناصر والسادات.

الفهرس

كتب المؤلف

١ — **صهيونيون حتى [illegible] صابعهم.** (طبعة أولى) ١٩٧٣ الشركة المتحدة للتوزيع (طبعة ثانية) [illegible] دار الاعتصام.

٢ — **يا ليل العين اليمنى لديان**، (منشورات بيروت) عام ١٩٧٤.

٣ — **كامو.. المتمرد الأزلي** (المكتبة العربية) ١٩٧٥.

٤ — **مالرو: الحب الصامت**، (منشورات بيروت) ١٩٧٦.

٥ — **الأدب الأبنوسي**، (دراسة في الآداب الإفريقية).

٦ — **نجيب محفوظ** — رؤية نقدية ١٩٧٧.

٧ — **ثروت أباظة..** الفلاح الارستقراطي (نهضة مصر بالفجالة) ١٩٧٧.

٨ — **رؤية نقدية في الرواية العربية ١٩٨٢.**

٩ — **عيون نقدية ١٩٨٤.**

١٠ — **أنيس منصور.. ذلك المجهول**، (دار التعاون للطبع والنشر) ١٩٨٦. (طبعة ثانية) مكتبة مدبولي ١٩٨٨.

١١ — **رشاد رشدي**، (بالإشتراك مع الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٧.

١٢ — **أدب الأظافر الطويلة**، (نهضة مصر بالفجالة) ١٩٨٧.

١٣ — **توفيق دياب..** ملحمة الصحافة الحزبية (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٧.

١٤ — **البيوت تنهار ليلاً**، «رواية» مكتبة مصر ١٩٨٨.

١٥ — **حوار على نار هادئة**، «الدار المصرية للكتاب» ١٩٨٨.

١٦ — **ثوار يوليو يتحدثون** «الزهراء للإعلام العربي» ١٩٨٨.

١٧ — **جلال الدين الحمامسي ودخان لا يطير في الهواء**، «الدار الفنية» ١٩٨٨.

١٨ — **«الاسلام.. كتاب مفتوح»**، «مكتبة التراث الإسلامي» ١٩٨٨.

١٩ — **اسلاميات لكل عصر** — (دار الجيل)

٢٠ — **مصطفى أمين.. ذلك مستحيل** — (دار الجيل)

هذا الكتاب

«مصطفى أمين ذلك المستحيل».

قد يكون عنواناً غريباً ولكنه حقيقة واقعة فقد كان على الكاتب الكبير مصطفى أمين أن يشد المستحيل ليصبح واقعاً وأن يشد الواقع ليصبح ممكناً.

فمن المستحيل أن يلتقي ويختلف ويصطدم كاتب مع ملوك ورؤساء مصر جميعاً في القرن العشرين: الملك فازوق ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات وحسني مبارك.

من المستحيل أن يتعرض كاتب لأشد صنوف التعذيب والهوان في السجن سنوات ويخرج أقوى مما كان!.

من المستحيل ان يتعرض كاتب للهجوم الشديد عليه في كتاب ولا يرد ولو بكلمة واحدة وهو ما حدث لمصطفى أمين في كتاب «بين السياسة والصحافة» لمحمد حسنين هيكل!.

من المستحيل أن يتزوج كاتب كل فنانات مصر: شادية ومديحة يسري وليلى فوزي وتحية كاريوكا، وحتى الامبراطورة ثريا!.

من المستحيل أن يلتقي الإنسان لأول مرة بحبيبته في الزنزانة وهو يرتدي بدلة السجن ويجلس معها يناجيها وهو على «البرش» ثم تصبح زوجته!.

إنه مصطفى أمين ذلك المستحيل!.

إن الكاتب والأديب محمود فوزي بتحليله الدقيق واسئلته الواعية وأسلوبه السهل السلس يتعرض في هذا الكتاب لأول مرة لادق تفاصيل علاقة الكاتب الكبير مصطفى أمين برؤساء مصر: عبد الناصر والسادات ومبارك. فمن رأي مصطفى أمين أنه إذا غضب عبد الناصر قصف العمر، وإذا غضب السادات قصف القلم، وإذا غضب مبارك اكتفى باللوم والعتاب!.

إن هذا الكتاب يحمل بين دفتيه وثيقة صحفية.. قنبلة موقوتة: إنها أول مرة يتحدث فيها مصطفى أمين عن حقيقة محمد حسنين هيكل!.

دار الجيل